عبد الجبار الساعدي

ناعية الطف
السيد حيدر الحلي

١٩٧٦ م – ١٣٩٦ هـ

مطبعة النعمان – النجف الاشرف ٣٢٠٩٧

عبد الجبار الساعدي



١٩٧٦ م – ١٣٩٦ هـ

منشورات مكتبة اية الله الحكيم العامة فرع القاسم

– ١٣ –

مطبعة النعمان – النجف الاشرف ٣٢٠٩٧


شبكة الفكر
alfeker.net

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآلـه الطيبين الطاهرين وبعد .

توفقت بلطف الله وتأييده الى طبع كتابي عن القاسم ابن الامام موسى بن جعفر وقد صدر في ١٩ / ١ / ١٩٧٦ ، بعد أن حال بيني وبين استنساخ بحثي ـ المخطوط ـ عن شاعر آل محمد وناعية الطف والارزاء السيد حيدر الحلي ، فرأيت بعد الفراغ من الكتاب المذكور أن أبادر الى تصحيح البحث وتهذيبه ونقله من المسودات التي كان الامـل أن تنشر في مجلة ما ، وها هو البحث بين يديك .

ـ عزيزي القاريء ـ فان وجدت به متعة وفائدة فهذا هو المطلوب ، وإلا فاني لا أدعي لنفسي الاحاطة التامة بجميع مناحي السيد حيدر الأدبية أو الالمام الكافي بكل مراحل حياته فان ذلك ـ وبطبيعة الحال ـ يتطلب جهداً ووقتاً كبيرين عسى

أن نتوفر عليهما ونعود ثانية للحديث عن الحيدر الحلي ، وليست هذه الوريقات إلا اشارة مضيئة في درب الحديث عن الشاعر الذي لم ينصف للان .

السيد حيدر الحلي بحاجة الى كتابات عديدة مركزة تسلط فيها الأضوية الكشافة على سائر مناحي حياته الادبية والدينية ، وما كتب عنه لا يعدو كونه تراجم موجزة لاتفي بالغرض مبثة هنا وهناك في بطون « المعاجم » الرجالية والادبية ، عسى ان تكون كتابتنا هذه محفزاً للادباء والباحثين للكتابة عن الشاعر ، والله الموفق .

٢٤ / ٣ / ١٣٩٦ هـ — ٢٥ / ٣ / ١٩٧٦ م

النجف الاشرف — عبد الجبار عبد الرضا الساعدي

الفصل الاول

يروق لي الحديث كثيراً عن ناعية الطف وشاعره المحلق السيد حيدر لشاعريته الفذة ومكانته في حقل الرثاء الحسيني، تلك المكانة التي بزّ فيها أقرانه من شعراء عصره فكان ولايزال فارس الحلبة في هذا المضمار، ومن عجب يغفل ذكر هذا الشاعر المجلي فلا يكتب عنه - للان - كتاب مستقل يتضمن سيرته وجهاده وشعره فيعرض لكل هذا بالسرد والبحث والتحليل، ولا أدعي لنفسي الاحاطة التامة - فيما اكتبه الآن - ولكنها إشارة سريعة في هذا الدرب وتنوير لأذهان القراء الكرام ممن لم يطلع للآن على شعر السيد وحياته (١).

---

(١) لهذه الوريقات قصة لم أشأ التطرق لها بالتفصيل وملخصها : - كان الأمل ان تنشر - في مجلة ما - ولكن أسرة تحرير المجلة رفضت نشرها - بزعم - كلاسيكية الموضوع - وكونه لايخدم روح العصر وقضايا الساعة فارتأيت نشره على نفقتي الخاصة - على شكل كراس - ولكن شاءت أريحية الحجة المفضال السيد محمد تقي الجلالي أن يطبع هذا الكراس =

. . . .

= ضمن منشورات مكتبة اية الله الحكيم العامة فرع القاسم

وصادف اثناء عرضه هذا ان توفي والده سماحة حجة الاسلام والمسلمين السيد محسن الجلالي لهذا أرى نفسي ملزماً ببيان بعض ما يتعلق بحياة المرحوم والده الكريم من باب الوفاء وعرفان الجميل .

ولد الفقيد سنة ١٣٣٠ هـ في سامراء وكان ابوه يعقد الصلاة جماعة في الحرم الحسيني من سنة ١٣٠٠ هـ ولما انتقل الامام الشيرازي - قائد ثورة العشرين - الى كربلاء المقدسة سنة ١٣٣٦ هـ رجع معه ثانية والد المترجم وعمر مترجمنا يومذاك ست سنوات ، فشرع في الدرس - عند الكتاتيب - وبعد ذلك أنخرط في سلك الدراسات الدينية فتتلمذ على يد والده وعلى جملة آخرين من اساتذتها الافاضل وبقي ملازماً لدروسهم وابحاثهم الى سنة ١٣٤٢ هـ فانتقل بعدها الى النجف الاشرف لأكمال دراسته والالتحاق بركب الدراسات العليا وحضر لدى اعلامها :

١ - حضر درس آية الله العظمى الشيخ ميرزا حسين النائيني

٢ - حضر درس آية الله العظمى أقا ضياء العراقي .

٣ - واظب على حضور بحث آية الله العظمى السيد أبي الحسن الاصفهاني وفي هذه الأثناء تزوج كريمة الامام الهادي =

. . . .

= الخراساني - مرجع كربلاء في عصره - وفي سنة ١٣٦٥ ﻫ رجع الى كربلاء وشرع في التدريس ولكنه ظل يحضر بحثي السيد الخراساني والسيد الميلاني .

ذهب الى حج بيت الله الحـــرام سنة ١٣٨٥ ﻫ وفي السنة ١٣٧٢ ﻫ أصبح أماما في الحرمين الحسيني والعباسي .

مؤلفاته :

خلف الفقيد الراحل ثروة علمية قيمة في شتى فروع المعرفة من فلسفة وفقه واصول وتاريخ وأذكر على سبيل المثال : -

١ - حقيقة التناسخ وإبطاله في الفلسفة .

٢ - المنتخب من الاحاديث والخطب .

٣ - مصباح الهدى في أصول دين المصطفى .

٤ - تعليقة على الكفاية في اصول الفقه .

٥ - تعليقة على قوانين الاصول .

٦ - افادات وافاضات - مطبوع .

٧ - تنبيه الامة الى أحاديث الايمة كان رحمه الله موضع ثقة علماء عصره واعجابهم كما دل على ذلك ما بحوزته من =

. . . .

= إجازات ووكالات .

اولاده :

له خمسة أولاد وهم :

١ ـ الحجة المفضال السيد محمد تقي الجلالي .

٢ ـ العلامة الجليل السيد محمد حسين الجلالي .

٣ ـ الاستاذ الفاضل السيد محمد رضا الجلالي .

٤ ـ ٥ ـ والسيدان الفاضلان محمد / محمد جواد . . .

والذي يستلفت النظر أن كلا من انجاله الخمسة يمثل الخلق الرفيع والهدى والاستقامة والفضل وساتعرض لذلك في حديثي عن الفقيد ـ ضمن كتاب ستصدره الاسرة في ذكراه .

وافاه الاجل فجر يوم السبت ١٣٩٦ هـ ـ ٢٠ صفر في كربلاء المقدسة ، ودفن في النجف الاشرف في الصحن العلوي قرب مدخل الساباط من الجهة الشمالية حسب وصيته ، وأقيمت له عدة فواتح دلت على ما للفقيد الراحل من مكانة في النفوس وقد أستمرت فواتحه الى الاربعين أقامت له الاسرة الفاتحة في كربلاء وبعدها أقام الامام الخوئي الفاتحة في النجف ، والشهرستاني في كربلاء واقيمت له عدة =

الحيدر الحلي بحاجة الى كتابة مسهبة وبحث مركز لغرض تسليط الأضوية الكشافة على مناحي حياته المشرقة الوضاءة وأدبه الثر المعطاء وجهاده الديني الخالص وحبه الحسيني المكين وما كتب عن الحيدر الحلي لايعدو كونه عرضا لمراحل حياته وسرداً لنماذج شعره عدا بعض الالتفاتات القيمة التي جاءت في كتاب الدكتور محمد مهدي البصير ـ نهضة العراق الادبية ـ التي تحدث فيها عن العوامل التي كانت سببا لتفوق السيد واجادته في الرثاء ومثلها ـ أي الالتفاتات ـ جاءت في كتاب الدكتور يوسف عز الدين عضو المجمع العراقي ـ الشعر العراقي ـ أهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر .

ولا تظن بأن الشاعر غير مجيد في فنون الشعر الاخرى المتداولة في عصره كالمدح والفخر والحماسة والغزل والموشحات والوصف والتشبيب فانه لم يقصر فيها عن غيره من فطاحل

= فواتح في مدينة القاسم من قبل الحوزة العلمية القاسمية ، الكسبة ، القصابون سواق السيارات والبقالون وغيرهم وغيرهم ـ وفي الطهمازية ـ الحلة ـ وفي ناحية الطليعة ، والسادة الزوامل ومنطقة كريط هذا عدا الفواتح التى أقيمت خارج العراق رحم الله الفقيد الراحل وأسكنه الفسيح من جناته وسقى جدثه الطاهر شآبيب الرحمة والرضوان .

الشعراء بل يظهر له في كثير من بدايعته السبق والتقدم وإن قصر هذا الشعر عن التحليق الى مصاف رثائه للحسين وآلـه وصحبه من قتلى الطفوف .

قبسات عن حياته :

قلت سابقاً وأقول ليس هذا الكراس معقوداً لتقصي أخبار وحياة السيد حيدر الحلي واست معنياً كذلك بدراسة كل جوانبه الادبية لما يتطلبه ذلك من عناء ووقت كبيرين ليسا في مقدورنا الآن ، ولكنى سبق وإن قلت انها اشارات سريعة في هذا الدرب .

ولد المترجم في الحلة ليلة النصف من شعبان سنة ١٢٤٦ هـ ومات أبوه سنة ١٢٤٧ هـ - أي بعـــد ولادته بسنة - فأقترن السيد مهدي - عم المترجم بزوجة أخيه السيد سليمـان وعمر ولدها السيد حيدر أقل من عامين فنشأ في حجر عمه فهو ربيب نعمته وخريج مدرسته (١) ، وبعد عمه تتلمذ على يد الشيخ حسن الفلوجي .

وجاء في وصفه - أي المترجم - كان أبي النفس واسع الجاه عظيم القدر يتمتع بمكانة سامية في الاوساط العلمية والادبية

---

(١) البابليات للمرحوم اليعقوبي ج ٢ ص ١٥٤ .

ويكفي على ذلك مثال واحد لمـــا توفي أمر الأمام الشيرازي بتعطيل الدروس العلمية في سامراء ثلاثة ايام حداداً عليه واقامة مجلس العزاء له في مدرسته ومن المعلوم ان ذلـك لم يكن إلا لوفاة مجتهد كبير من ذوي الزعامة الدينية (١) وعقد له العلامتان السيد محمد القزويني واخوه السيد حسين مأتم العزاء بدارهما في النجف (٢) ، ونقل لنا الاستاذ علي الخاقاني في مقدمته على ديوان المترجم (٣) ان نعش الفقيد حمل بموكب مهيب مؤلف من علماء واعيان ووجوه الحلة وكان لذلك رنـة حزن واسف عميقين في سائر الاوساط العراقية عامـــة وفي النجف خاصة وكانت وفاته عشية الاربعاء في الليلة التاسعة من ربيع الثاني سنة ١٣٠٤ وعمره (٥٩) سنة ودفن في الصحن الشريف في مدخل الساباط من الجهـة الشمـالية بين مقبرتي الامام الشيخ جعفر التستري والحجة السيد ميرزا جعفر القزويني الحلي ، ومن غريب الصدف ان نزل الغيث يوم وفاته كأفواه القرب بعد ان امتنع

(١) المصدر السابق ص ١٦٨ .

(٢) المصدر السابق ص ١٦٨ .

(٣) ديوان السيد حيدر الحلي ج ١ ص ٢٠ / تحقيق الخاقاني .

زمناً احس الناس فيه بالجدب فعدوا ذلك كرامة له ونظمها بعض من رثاه ، ورثاه جميع شعراء عصره بقصائد كثيرة ومنهم من رثاه بقصيدتين او ثلاث واليك اسماء بعضها (١) .

١ ـ الشيخ حمادي نوح بقصيدة ومطلعها :

لو قربت لي دموعي منك منتزحا

اذات قلبي بجفني ادمعها سفحا

٢ ـ الشيخ حسن مصبح بقصيدة ومطلعها :

لعب الاسى بحشاشة العلياء

وطوى اضالعها على البرحاء

٣ ـ الشيخ حسون العبدالله بقصيدة ومطلعها :

هل الدهر يصغي السمع إن رحت عاتبا

وهل ان صغى يوماً يجيب مخاطبا

٤ ـ الشيخ محمد الملا بن حمزة بقصيدة ومطلعها :

ناهيك قارعة حدت اجمالها

عنا فحملت الهدى اثقالها

٥ ـ الشيخ حسن القيم بقصيدة ومطلعها :

---

(١) شعراء الحلة للخاقاني ج ٢ ص ٣٤٤ .

افيدري ثراك ياخـــير رمس

اودع الله عنـــده اي نفس

٦ ـ ولده السيد حسين بقصيدة ومطلعها :

خبراني عنه بمن سلواني

اودعا اليوم جانبا واعذراني

٧ ـ ابن اخيه السيد عبد المطلب ، الحلي بثلاث قصائـد ومطلع الاولى :

اهاشم قلّ بأن تجزعي وان تقرعي السن بالاصبع

ومطلع الثانية :

تظن لرسم قد تعفت معالمـه

جرى مستهل الدمع يهمي وساجمه

ومطلع الثالثة :

اهاجك دارس الطلل الهمود

فجنبك الاسى طعم الهجود

٨ ـ السيد ابراهيم الطباطبائي بقصيدة ومطلعها :

ايجدي الفتى فيه يصفق راحا

ويرمض قلبـــا يلوع التياحا

٩ ـ المرثية الشهيرة للمرحوم الحجة المجاهد شيخ الموشحات

السيد محمد سعيد الحبوبي . . . وما أخرت ذكرها الا لرغبتي في أن أنقل بعضا من ابياتها للقاريء :

ابن لي نجوى لو تطيق بيانا   ألست لعدنان فماً ولسانا

وابلغ خطاباً فالبلاغة سلمت   لكفيك منها مقوداً وعنانا

وجل ياجواد السبق في حلباتها   فهاشم سمتت للطعان رهانا

أغيث الأيادي قد تقشع غيثها

وحين المعادي كيف حينك حانا

صرعت وما خلت الردى يصرع الردى

كلا ولا يفني الزمان زمانا

الى أن يقول رحمه الله :

أجوهرة الدنيا التي قد تزينت

به وأكتست من بشره اللمعانا

فمن للقوافي الغر بعدك حيدر

يساجل فيها دائنا ومدانا

فكم لك إذ تدعو ابن أحمد ندبة

تزلزل رضوى أو تزيل أبانا

أطلت ولم تملل بكاك عليهم   فطال ولم نملل عليك بكانا (١)

(١) ديوان الحبوبي / تحقيق عبد العزيز الجواهري .

آثاره الادبية :

خلف المترجم له أربعة كتب أدبية قيمة لايستغنى عنها لما فيها من مادة أدبية ثرة وهي :

١ ـ ديوان شعره المسمى بـ (الدر اليتيم) وقد طبع أول مرة في بمبئي على الحجر عام ١٣١٢ هـ فجاء حافلا بكثير من الأغلاط النحوية والاملائية وأعيد هناك كذلك وبعد ذلك عني بتحقيقه الاستاذ الشاعر الغريد صالح الجعفري وطبع الجزء الاول منه . . . وأخيراً قام الاستاذ علي الخاقاني بتحقيقه وإصداره في جزئين .

٢ ـ العقد المفصل : وهو من الكتب الادبية النادرة ضم طائفة من فنون الادب والملح والنوادر والنسب . . . الخ وقد الفه لصديقه الشيخ الحاج محمد حسن كبة المتوفي سنة ١٣٣٦ هـ

٣ ـ دمية القصر فى شعراء العصر : ـ وهذا الكتاب لا يزال مخطوطا بمكتبة الاستاذ محمد مهدي كبة ـ كما ينص الخاقاني فى شعراء الحلة .

٤ ـ الاشجان في مراثي خير انسان : جمع فيه مراثي صديقه

العلامة السيد ميرزا جعفر القزويني وقد قدم لكل قصيدة مقدمة خاصة كتعريف لصاحبها .

نـــثره :

قليلون اولئك الذين جمعوا بين ملكتي النثر والنظم . . . اذا سرحت النظر في نثرهم بهرك رصفه وانسجامه وشيوع المحسنات البلاغية فيه . . . وان التفت ناحية شعرهـم فستجـد نفسك مأخوذاً بروعة الوصف ودقة المعنى وعذوبة اللفظ وسحر الموسيقى والحيدر الحلي غني عن البيان فى قوة شاعريته وتجليه فى حقل الرثاء واما فى مجال النثر فهذا الدكتور البصير يحدثنا (١) . « كان السيد حيدر ـ رحمه الله ـ ناثراً كما كان شاعراً ولدينا رسائل كثيرة منه كتب بها الى نفر من اصدقائه واودائـه لها قيمتها الادبية » ثم ساق له قطعة نثرية رائعة ، وهذا الخاقاني يقول (٢) « . . . ولعل خير مصداق على مانقول رسائل السيد حيدر واسلوبه فقد جاء رصيناً محكماً تجمعت فيه روعة البديع بأنواعه » ثم ذكـر له قطعة بعث بها الى صديقه الحاج محمد

---

(١) نهضة العراق الادبية ص ٤٧ .

(٢) شعراء الحلة ص ٣٤٣ ج ٢ .

رضا كبة (١) .

« سلام فتقت نور زهره صبا الحب ، وأعربت أنفاس نشره عن طي سريرة الصب ، ورقت ألفاظه حتى سرق النسيم طبعه من رقتها ونفحت بريا الاخلاص فقراته حتى استعار العبير المحض طيبه من نفحتها وماهي فقرات في الطروس قد وسمت بل روح محب اذابها الشوق وفي قالب الالفاظ قد تجسمت ، فلو نشق ارواح عرفها من غشيته سكرات الموت لصحا ، ولو سرح النظر في لؤلؤ الفاظها ذو الطبع السليم لسحرت عقله وماس منها مرحاً » وعقد الخاقاني فصلاً كاملاً لنثر الشاعر أودعه طي تحقيقه لديوان المترجم الجزء الثاني ابتداء من صفحة ١٨٤ والى نهاية صفحة ٢٤١ وقد تجلت في تلك الرسائل والتعليقات روح البلاغة بأجلى صورها وأدق معانيها .

---

(٣) تلاحظ ـ عزيزي القاريء ـ اني احاول ضغط الحديث ـ جهد الامكان ـ تخفيفاً لعبء الناشر عسى ان نوفق ثانية للحديث عن المترجم بتوسعة وشمول .

منزلة السيد الاجتماعية وما جاء في وصفه :

يقول المرحوم شيخنا اليعقوبي (١) « وقد كان ابي النفس واسع الجاه عظيم القدر يتمتع بمكانة سامية في الاوساط العلمية والادبية بحيث يحتفي به حجة الاسلام الشيرازي إذا استزاره الى سامراء ويجد الحفاوة البالغة من العلامة الشيخ محمد حسن آل يس إذا استدعاه الى الكاظمية واما اعجاب العلامة السيد مهدي القزويني فيه فحدث عنه ولا حرج فقد كان يجلسه الى جنبه ويطريه بكل تجلة وإكرام ويقدمه على جميع الشعراء وكذلك أنجاله الاماثل فانه اذا دخل ناديهم مهنئا أو معزياً قالوا لمن حضر من الشعراء « قد جاءكم موسى بعصاه » أو « أتاكم حيدر بنهج بلاغته » ويقول المرحوم البصير (٢) (. . إلا أنه من الحق أن نلاحظ أنه كان على العموم أبيا عزيز النفس يلتزم التصون ويؤثر الترفع ولكن لئن كان خفيف الحال قليل المال لقد كان عظيم القدر واسع الجاه .

---

(١) البابليات لليعقوبي ج ٢ / ٥٥ .

(٢) نهضة العراق الادبية / ٤١ .

أخبرني جماعة من معاصريه انه كان اذا دخل مجلساً نهض كل من فيه له اجلالاً كما لو كان عالماً كبيراً او حاكما خطيراً » ويقول الخاقاني (١) تسالم الشيوخ والمعمرون بنقلهم على ان السيد حيدر كان من الشخصيات المرموقة ذات الحول والطول والشأن والرفعة ، وقد خلص من شائبة النقد وترفع عن ان ينال بسوء لما أتصف به من مزايا وصفات رفعته في عيون الاعلام من معاصريه ، ولعل الذى لم يتوغل في دراسة عصره الاجتماعي لايتصور خطورة المترجم له وما حباه الله من حيثية ومكانة ويكفينا على مكانته وسمو مقامه القصة التالية (٢) .

عندما هنى السيد حيدر سماحة الامام الشيرازى بقصيدته الهمزية رأى أن يكرم الشاعر بعشرين (ليرة) فاستشار ابن عمه العلامة السيد ميرزا اسماعيل الشيرازى في ذلك فأبى وقال لأبن عمه الامام : ماقولك فى دعبل والكميت ومنزلتهما عند الامام الصادق عليه السلام فهل هما أفضل أم السيد حيدر وهو ابن رسول الله ؟ فقال انه لأفضل منهما . قال اذاً يجب ان تكرمه بأقصى ماتشعر من انواع التكريم فلم يبق للامام الشيرازى دون ان صحب معه مائة ليرة وذهب لزيارته وعندما

(١-٢) شعراء الحلة للخاقاني ج ٢ ص ٣٤١ .

دخل عليه تناول يد الشاعر فقبلها بعد امتناع شديد .

فهذه القصة لو لم يكن الرواة لها ثقاة لأمتنع السمع من قبولها لان الامام الشيرازى عرف سيرته القاصي والداني ان الملوك والسلاطين كانت تزوره وتخضع له احتراما لمقامة الديني ومن هنا يظهر لنا واضحا جليا سمو مقام شاعرنا وعلو كعبه في حقول المكانة الاجتماعية .

شاعرية السيد حيدر
ومكانته الادبية ورأى العلماء والباحثين فيه

يقول المرحوم اليعقوبي (١) « وكان من أوعى رجال الادب صدراً لمادته لغة وعلوم عربية ومن اكثرهم حفظاً للفوائد واستظهاراً للشوارد واشدهم مزاولة لاشعار العرب وخطبهم ، جزل الالفاظ رقيق المعاني حسن الروية جيد الطبع فجاء شعره فى الغالب متين التأليف عربيا فصيح المفردات والتركيب » ويقول الخاقاني (٢) (. . . لان السيد حيدر أديب قرأ الكثير من شعر العرب وحفظ المجلدات من اخبارهم وتتبع الفصيح

---

(١) البابليات لليعقوبي ج ٢ ص ١٥٥ .

(٢) شعراء الحلة للخاقاني ج ٢ ص ٣٣٤ .

من اقوالهم والمأثور من كلامهم والبديع من صناعتهم » وهذا ولاشك يفجر قريحته ويصقل شاعريته وينمي ملكـاته العلمية واستعداداته الأدبية لذا جاء شعره بديع الصورة ساحر الوزن والايقاع يحلق بالقاريء في أجواء شاعريه حالمة يصطاد اللفظ الرقيق ويقرنه بمعنى أرق منه دون ان تجد نبوة أو حشوة وأنا أرى ان سبب عكوف المترجم على كتب اللغة والادب والتاريخ قراءة واستظهاراً يعود الى كفالة عمه له ـ السيد مهدي ـ الذي اقترن بأمه بعد وفاة ابيه ـ كمـا مر بنا سابقاً ـ فتولى تربيته وكان هذا شاعراً مجيـــداً وأديباً له ديوان شعر مخطوط وآثار اخرى حسنة (١) .

وعني عمه السيد مهدي بتربية ابن اخيه من الناحية الادبية كما عني بشؤونه الاخرى ، وعمل على شحذ ملكاته وصقل مواهبه فكان هذا منه مكان زهـــير من أوس ، وقصارى القول لقد تعهده عمه كما يتعهد احد اولاده فقد شمله برعايته وعنـايته وقربه منه وجعله ثالث ولديه فى الميراث وترى أثر هذا العطف يبدو عليه من اللوعة التي استعر أوارها في احشائه بعد فقد عمه ـ وسنتحدث عن هذه المرثية في مكان اخر ـ قال : ـ

---

(١) نهضة العراق الادبية للبصير ص ٤١ .

اظبا الردى انصلتي وهاك وريدي

ذهب الزمان بعدتي وعديدى

وكان المرحوم الامام السيد مهدى القزويني يعده اكبر شاعر طالبي ومعنى ذلك انه يقدمه على الشريف الرضي ويعرب عن تقديره له واعجابه به في كل مناسبة وكثيراً ما كان يستعيد أبياته ويخلع عليه الخلع السنية ، ومرة انشده قوله :

ومفيد عصر لو أتى العصر الذى

فيه المفيد لقال أنت مفيدى (١)

قال بصوت فيه رنة الاعجاب « انت مفيدى » وأستعاد البيت (٢)

---

(١) المفيد هو محمد بن النعمان كبير علماء الامامية في القرن الرابع للهجرة ويكفى على سمو منزلته ماوجد على قبره مكتوبا صبيحة دفنه بخط الحجة المنتظر ـ عج ـ

لاصوت الناعي بفقدك انه يوم على آل الرسول عظيم

إن كنت قد غيبت في جدث الثرى

فالعدل والتوحيد فيـــك مقيم

والقائم المهـــدى يفرح كلمـــا

تليت عليك من الدروس علوم

(٢) نهضة العراق الادبية / ٤٢ ـ ٤٣ .

ولا يفوتني هنا أن اذكر هذا المقطع من موشحة الشاعر الشهير السيد موسى الطالقاني التي هنأ بها المرحوم الشيخ محمد حسن كبة بعد رجوعه من الحج ١٢٩٢ هـ قال رحمه الله (١) :

قد اتتكم تتجلى كالعروس

من بيوت الشعر شمسا طلعت

بنت فكر زينت فيها الطروس

من سويداء فؤادي انتزعت

ولعت فيكم على ان النفوس

من ذوي الآداب فيها ولعت

قلت : لولا (حيدر) مولى الأول

من بني النظم ومن في عصرنا

لو رآها (المتنبي) لأحتمل

أن رب النظم والنثر انا

* * *

هذا اعتراف صريح من الطالقاني للحلي بالتفوق والافضلية والطالقاني علم شامخ في سماء الادب وفارس لايشق له غبار في

---

(١) ديوان السيد موسى الطالقاني بتحقيق الاستاذ الفاضل السيد محمد حسن الطالقاني ص ٣٠٦ .

حلبات الشعر ، واليك جملة من شهادات أرباب الادب والفضل في شعر وشاعرية السيد حيدر ومكانته الادبية نذكرها على سبيل المثال إذ ليس من همي الاطالة كما اسلفت مسبقاً :

١ ـ قال الحجة خاتمة المحدثين الحاج ميرزا النورى في اخر كتابة (جنة المأوى) ص ٢٩٠ (السيد السند الصالح الصفي امام شعراء العراق بـــل سيد الشعراء في الندب والمراثي على الاطلاق » .

٢ ـ قال الشيخ محمد السماوى في (الطليعة) (انه كان شاعراً بارعاً غير منازع) .

٣ ـ قـال الزركلي فى ـ الاعـــلام ـ ج ١ ص ٢٨١ « شاعر أهل البيت فى العراق أديب امامي شعره حسن وكان مترفعاً به عن المدح والاستجداء موصوفاً بالسخاء له ديوان شعر سماه الدر اليتيم ط ـ وأشهر شعره حولياته في رثاء الحسين ع »

٤ ـ وقال النورى في موضع اخر من كتابه المذكور « خريت صناعة الشعر الاديب اللبيب فخر الطالبيين وناموس العلويين . فقد جمع ـ ايده الله ـ بين فصاحة اللسان وبلاغة البيان وشدة التقوى وقوة الايمان بحيث لو يراه احـــد لايتوهم في حقه القدرة على النظم فكيف بأعلى مراتبه » .

٥ - قال المرحوم اليعقوبي في باباياته ج ٢ ص ١٥٣ (اذا صح قول ابن الاعرابي عن زهير بن ابي سلمى المزني حكيم الشعراء في الجاهلية بأنه كان له فى الشعر مالم يكن لغيره ، حيث كان شاعراً وكان ابوه شاعراً وخال ابيه بشامة بن الغدير شاعراً وابناه كعب وبجير شاعرين وأخته سلمى شاعرة وزوج أمه (أوس بن حجر) شاعراً .

إذن فالسيد حيدر كان له في الشعر والادب مالم يكن لغيره في العصور الماضية فانه كان سيد شعراء عصره وكان ابوه سليمان شاعراً وجده داود شاعراً وجد أبيه سليمان الكبير عالما شاعراً وعمه المهدي فاضلاً شاعراً وعم ابيه الحسين بن سليمان شاعراً وعم جده (محمد بن داود) فقيهاً شاعراً وابنه الحسين وابن اخيه عبد المطلب شاعرين » وقال في موضع اخر « ولئن خلدت الكميت (هاشمياته) وابن ابي الحديد (علوياته) والازرى (هائيته) فقد خلدت حيدرا (حسينياته) خلودا لاانتهاء له فلا شك انه شق فيها غبار الشريفين الرضي والمرتضى ومهيار وكشاجم وكل من تعاطى رثاء الامام الشهيد من فحول شعراء الشيعة من المتقدمين والمتأخرين وحقاً انه شرع في الرثاء طريقة جديدة وتفنن ما شاء فيه وأبدع في الفاظه ومعانيه

واساليبه .ما اراد فأثار الخواطر وتصرف في النفوس واستمطر الدموع حتى احتذى مثاله كل من جاء بعده واعتبروه كأمام في صناعة الرثاء » .

٦ - قال الاستاذ علي الخاقاني في شعراء الحلة ج ٢ ص ٣٣٢ « لعل التحدث عن شاعرية السيد حيدر في غنى عن البسط والتحليل بالنظر لما عرفه الادباء وغيرهم ، ولما سمعوه ووعوه من شعره الذى طرق الاسماع وخاصة فى الرثاء فلقــد نال اعجاب الجميع وهيمن على مشاعرهم فامتلكها » .

٧ - وفي موضع آخر يقول الخاقاني - ديوان السيد حيدر الحلي ج ١ ص ١٢ (ولقد حاز على قصب السبق من جراء ذلك في هذا الميدان الذى جرى فيه رهط كبير من اعلام الشعراء فكان السباق والمجلي » .

٨ - قال الدكتور يوسف عز الدين فى كتابه (الشعر العراقي أهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر ص ١١٧ الطبعة الاولى « وابرز من اشتهر فى هذا القرن السيد حيدر الحلي ، فقد ظفر ديوانه بعدة طبعات ، وشرح عدة شروح لان الشاعر قد أمتاز بالصدق في العاطفة والجزالة في الاسلوب ، فقد كان يرثي الحسين رثاء إنسان موتور حساس يرى حقوقــه مهدرة

وكرامته جريحة وإنه ليرثي رثاء محزون أصيب جده الحسين وآله فهو يرثي اقرب الناس إليه الذين يعزه عزّهم ويرفعه مجدهم ويباهي ببطولتهم وحروبهم » .

٩ ـ قال المرحوم الدكتور محمد مهدى البصير ـ فى نهضته ص ٤٨ (أما ديوانه فانه يحتوى على كل باب من ابواب الشعر القديم والرجـــل مجيد فى هذه الابواب جميعا على اختلاف فى الاجادة ، إلا انه يبلغ أوج شاعريته فى الرثاء) وقال في موضع آخر وهو يتحدث عن موشحاته (وللسيد حيـــدر موشحـات نفيسة لايعرف احد عنها شيئا فيها غزل طريف ووصف بديع »

١٠ ـ قال الاستاذ السيد محمد حسن الطالقاني فى هامش ديوان السيد موسى الطالقانى ص ٣١٥ « هو السيد حيدر الحلي الشهير من أفاضل شيوخ الادب واكابر شعراء العراق فى عصره .

كان عالماً بأيام العرب واخبارها متضلعا فى اللغة وعلوم الادب عارفا باساليب النقد والمناظرة ، شهد بنبوغه وبراعته زملائه ، كافة وقد اجمع معظم المترجمين له على انه امام شعراء العراق فى عصره والمقدم على كافة طبقته » .

١١ ـ قال الدكتور ابراهيم الوائلي في كتابه « الشعر السياسي العراقي فى القرن التاسع عشر » ص ١٩٠ « وكان

أقدر الشعراء تعبيرا وأشدهم عاطفة السيد حيدر الحلي » .

١٢ ـ قال الدكتور جلال الخياط فى كتابه (الشعر العراقي الحديث ـ مرحلة وتطور ص ١٨ « ومن شعراء النصف الثاني من القرن التاسع عشر حيدر الحلي وابرز ما عند هذا الشاعر الألم فهو من الشعراء الشيعة الذين يغلب الحزن على اشعارهم » لان مراثي الحلي كما يقـول الخياط « تنطق عن صـدق عميق خاصة مراثيه فى الحسين » (١) .

هذا نزر يسير من أقوال وشهادات أرباب الادب والفضل فى شعر السيد وشاعريته ومكانته الادبية والعلمية ، ومن عجب ان يقول بعضهم بعد هذا كله « من يقرأ مراثي آل البيت عند حيدر الحلي وهو مشهور بهذا النمط الشعرى لا يرى فيها الا تهريجا فصياح يتبعه صياح واستغاثة تلو استغاثة وشتائم لهذا الخليفة أو ذاك » (٢) وهنا اترك الحــديث للدكتور يوسف

---

(١) لنا اراء ومؤاخذات على كتاب الدكتور الخياط ـ هذا ليس هنا محلها وسنذكرها بالتفصيل عند رجوعنا للحديث ثانية عن الحيدر الحلي .

(٢) « مدارس الشعر العراقي الحديث » ، الآداب ، العدد ١١ ، بيروت ١٩٥٧م / عبد الجبار داود البصرى .

عز الدين ليحدثنا قائلاً (١) « وعندما يتحدث عن اعدائهم فهو يتحدث حديث الواثق بنفسه المعتد بقوته الواثق من حسبه المعتز بنسبه فلم يلجأ الى الشتائم والسباب يكيلها ذاكرا العيوب كما يفعل عامة الشعراء في هجاء الافراد فقد ابتعد عن رخيص القول ومبتذل الالفاظ وانما كان يريد ان يغلبهم بالمنطق والحجة » .

مصادر الدراسه عن الشاعر :

للسيد حيدر الحلي تراجم في مصادر مخطوطة ومطبوعة ومن المطبوعة عدا ما ذكرناه اثناء البحث :

(١) ـ العقد المفصل ص ب ـ ح (٢) ـ طبقات اعلام الشيعة ـ ح ١ ص ٦٨٥ ـ ٦٨٩ ـ (٣) ـ اعيان الشيعه ـ ح ٢٩ ص ١٣ ـ ٢٠ ـ (٤) ـ معجم المطبوعات عمود ٧٨٨ ـ (٥) ـ العراقيات ص ٩٥ ـ ١١٩ (٦) ـ ريحانة الادب ج ١ ص ٣٣٨ (٧) مصادر الدراسة الادبية ج ٢ ص ٣١٨ .

---

(١) الشعر العراقي ص ٩٩ .

الفصل الثانى

الشاعر وفن الرثاء :

الرثاء من الفنون الشعرية المعروفة فى العصر الجاهلي وفيه يتمكن الشاعر من تعداد صفات الفقيد وذكر مآثره وأفعاله الغر الحميدة والرثاء - في الجاهلية - ينبع من احساس بارتباط الفرد بالجماعة ارتباطاً تاماً ، وارتباط أمن الجماعة بالفرد ، ومن شعور بالفراغ الذي تركه وراءه الفقيد شعورا يوحي بالرغبة في أن يملأ هذا الترابط المتبادل الذي يجعلنا نميز الرثاء الجاهلي الذى يقرن البكاء على المرثي بالخوف من أثر فقدان الميت على كيان القبيلة والحي والاسرة ، أى اثره على الجماعة ككل ومن حيث هي بناء مترابط يحملنا على أن نميزه عن الرثاء في العصور التالية له (١) .

من الحق ان نقول ان الرثاء في العصر الجاهلي والرثاء في العصور الاخرى يتفقان من حيث الصدور عن العاطفة ومن حيث بكاء الميت وتعداد محاسنه ولكن الجاهلي منهما يصدر عن

---

(١) الخنساء شاعرة بني سليم / الدكتور جابر عبد العال الحيني ص ١٢٦ .

روح الجماعة وان تحدث به فرد ، ومن احساس بعاطفه عامة شاملة لا بعاطفة موجودة في دائرة محدودة كالأسرة والاصدقاء ، وقد يقال ان هذا اللون من الرثاء نعرفه فى عصرنا الحديث ولكن ليس الامر كذلك فالرثاء الجاهلي ينبع من عرف وتقليد اجتماعي ويصب فيهما وعباراته مرتبطة نفسياً واجتماعياً بأوضاع جعلها المجتمع الجاهلي من مثله العليا وليس كذلك الرثاء في العصر الحديث ، فالرثاء الجاهلي وان اعتمد على الانفعال بالتجربة الانسانية وتصوير الاحساس بالفجيعة ولكنك تحس وترى شيئا أعمق وأركز من هذا واليك هذه الابيات من مرثية الخنساء لاخيها صخر :

ياصخر من لطراد الخيل إذ وزعت
وللمطايا إذا يشددن بالكور

والميتامى وللاضياف إن طرقوا
أبياتنا لفعال منك مخبور

ومن لكربة عانٍ في الوثاق ومن
يعطي الجزيل على عسر وميسور

ومن لطعنة حلس أولهاتفةٍ
يوم الصياح بفرسان مغاوير

إذن فالخنساء انما تبكي أخاها صخرا لأحساسها بالفراغ الذي يتركه مكانه ... ماذا تقول للاضياف الذين يطرقون بيتها ليلا وأية بادرة تصنعها وهي تنظر لجمع من الموثقين في الاصفاد والقيود واي تحرك تفعله ازاء سرب اليتامى الذين يتضورون جوعاً وعطشا ، واهتمامها بهذا وامثاله يأتي من عمق تلك المثل في نفوسهم ، ولعل هذا النص يلقي الضوء اكثر :

جم فواضله تندى أنامله
كالبدر يجلو ولا يخفى على الساري
رداد عارية فكاك عانية
كضيغم باسل للقرن هصار
جواب أودية حمال ألوية
سمح اليدين جواد غير مقتار
نحار راغية قتال طاغية فكاك عانية للعظم جبار

وهذا (عبدة) يقول مؤبناً قيس بن عاصم (١) .

فما كان قيس هلكه هلك واحد
ولكنه بنيان قوم تهدما

---

(١) العمدة لابن رشيق القيرواني ج ٢ ص ١٥٣ الطبعة الثانية .

ولايفوتني هنا ان اذكر ما خاطب به طرفة بن العبد - ابنة أخيه - كما جاء ذلك في معلقته الشهيرة :

فان مت فانعيني بما انا أهلــه
وشقي عليّ الجيب يا أبنة معبـد
ولا تجعليني كامرىء ليس همـه
كهمي ولا يغنى غنـائي ومشهدي
بطيء عن الجلى سريع الى الخنا
ذليل باجـــاع الرجال ملهـد
فلو كنت وغلا فى الرجال لضرني
عـداوة ذى الاصحابِ والمتوحـد
ولكن نفى عنى الاعادى جرأتي
عليهم واقدامي وصدقي ومحتـدى

ومن هنا جاء الرثاء عند العرب وهو يمثل ذروة الاحساس ورقة الشعور وجسد انفجار العاطفة بشكل مؤسر اخاذ : قال الاصمعي « قلت لاعرابي ما بال المراثي اشرف اشعاركم ؟ قال لانا نقولها وقلوبنا محترقة » (١) ولابد للحرقة هذه من عوامل عمقتها وركزتها في نفوسهم هي ابعد مما نتصور من الحرقة

(١) العقد الفريد ٢ / ٢ / طبعة مصر سنة ١٣١٦ هـ .

المعروفة التي تستعر اوراها فى قلوبنا عند فقـــد عزيز ، وهذه العوامل هي التي المعنا اليها سابقا وقـد عدها المجتمع الجاهلي من مثله ومقدساته والا فالحرقة واحدة عندنا وعندهم ، ومـع هذا فالرثاء عند العرب قبل الاسلام كان محدودا وله قالب خاص لايحيد عنه الشاعر لضيق دائرة المتوفى والصفات التي لحقتـه مهما بلغ الفقيد من العظمة حتى صار اكثر الادباء يعتقدون من جراء ذلك بأن فن الرثاء اضيق دائرة من غيره من سائر فنون الشعر كالغزل والنسيب والمدح والفخر والحماسة والوصف الى غير ذلك (١) ولست معنيا هنا بتتبع مســـيرة الرثاء ـ ضيقا واتساعا ـ فان ذلك يخرجنا عن صلب موضوعنا وهـو السبب الكامن من وراء اجادة السيد حيدر لمراثي الحسين والشهداء الابرار من قتلى الطفوف .

ومهما قيل فالرثاء بعد واقعة الطف المريرة اتسعت دائرة أفقه وتعددت اساليبه وصوره وما شهـــد الرثاء عبر العصور الادبية اتساعا وشمولية وتطورا فى الشكل والمضمون الا بعـد مقتل ابى عبد الله الحسين تلك القتلة التي لا يزال يرعد من

---

(١) شعراء الحلة للخاقاني ج ٢ ص ٣٣٥ .

هولها الدهر ـ كما يقول الزيات (١) .

وأبرز من اشتهر في هذا الفن ـ فن الرثاء ـ ورثاء الحسين بالخصوص ـ هو السيد حيدر الحلي بأجماع المؤرخين والباحثين وقد مرت بك في الفصل السابق اقوال اساطين العلم والادب فيه وتأكيدهم على تبرزه في حقل الرثاء الحسيني ويرى الدكتور سلوم (٢) انه لم يوفق إلا في الرثاء ومثله قال الدكتور الخياط (٣) وإذا ما قرأنا شعر حيدر الحلي نجد أنه لم يبرز إلا في المراثي فهي تنطق عن صدق عميق خاصة مراثيه في الحسين ويرى البصير (٤) أنه مبرز بين شعراء عصره ولا سيما في رثاء أهل البيت ، ويرى عز الدين انه ابرز من اشتهر في هذا القرن (٥) وللمرحوم اليعقوبي رأى طريف فى باباياته « ان ما جاء به السيد حيدر

---

(١) تاريخ الادب العربي / ١٣١ .

(٢) تطور الفكرة والاسلوب / ٦٢ ، لنا اراء ومؤاخذات على الكتاب هذا سنذكرها في حينها .

(٣) الشعر العراقي الحديث ـ مرحلة وتطور / ١٩ .

(٤) نهضة العراق الادبية / ٤٢ .

(٥) الشعر العراقي اهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر ص ١١٧ الطبعة الاولى .

هو حد الاعجاز فى ذلك وحسبك آية على بلوغ مراثيه الحد الذي وصفناه انها تتلى وتنشد كل يوم فى مئات المحافل الشيعية وغيرها حتى حفظها عامتهم وخاصتهم لايملون ذلك ابداً ويصفه الاستاذ ابراهيم الوائلي (١) بانه من اقدر الشعراء تعبيراً واشدهم عاطفة ظهر اثر ذلك فى مراثيه للحسين ، وكان المرحوم الشيخ حمادي نوح (٢) من المعجبين بشعر شاعرين وكان لايرى لادب غيرهما قيمة واحد من المتقدمين وهو ابو الطيب المتنبي والثاني من المعاصرين له وهو السيد حيدر الحلي ، وناهيك بما في قول المرحوم العلامة ميرزا صالح القزويني مخاطبا السيد حيدر عند

(١) الشعر السياسي العراقي فى القرن التاسع عشر ص ١٩٠ .

(٢) هو ابو هبة الله الشيخ حمادي (محمد) بن سلمان بن نوح الحلي الغريبي الكعبيّ الاهوازي الشهير بحمادى نوح احد شيوخ الادب فى عصره ولد في الحلة سنة ١٢٤٠ هـ - ١٨٢٥ م وكان شديد الورع عظيم النسك والصلاح عف اللسان طاهر الجنان صافي السريرة لهج اللسان بالذكر - علم شامخ فى سماء الشعر وفارس مجلي لا يشق له غبار فى ميادين الادب ، مترجم فى كثير من المصادر المخطوطة والمطبوعة منها البابليات ج ٣ القسم الاول وشعراء الحلة للخاقانى ج٢ .

سماعه مرثية منه لبعض الاعلام « إن رثاءك يحبب الينا الموت » (١) ويذهب الدكتور البصير (٢) الى إن في رثاء حيدر لشهداء الطف مايفتت الاكباد اسىً ولوعــة ويذيب القلوب اسفاً وحسرة ولكن فيه كذلك مايملأ الرؤوس انفة والصدور حمية وحماسة والنفوس جرأة واقداماً » واين هذا من قول الذي يقول ان شعر السيد حيدر لا يمثل إلا التهريج والصياح والاستغاثة.

ويرى السحرتى (٣) ان السيد حيدر الحلي كان اكثر الشعراء شعورا بالاسى والمرارة لما وقع في مأساة الطف وقد فاض فيها حديثا ، وذكر الخاقانى في مقدمة الديوان (٤) ان احد طلاب البعثة العراقية اجتمع مع الشاعر المصري الشهير احمد شوقي وهو فى طريقه الى (السوربون) فقال له اقرأ لي شعرا فراتيا فقرأ له من شعر بعض الشعراء المعاصرين فقال له : لا اقرأ .

---

(١) شعراء الحلة للخاقانى ج ٢ ص ٣٣٥ .

(٢) نهضة العراق الادبية ص ٦٤ .

(٣) مجلة الكتاب العدد الاول ، السنة التاسعة من دراسة ادبية شاملة لشيخ نقاد العصر مصطفى عبد اللطيف السحرتى (التيار القوي في الشعر العراقي الحديث .

(٤) ص ١٣ ج ١ .

عثر الدهر ويرجو ان يقالا تربت كفك من راج محالا

القصيدة التي يراها عز الدين من اشهر مراثيه ففيها نجده الشاعر القوى الذى لم يلتجيء الى البكاء والنحيب لكى يندب الأموات الذين المت بهم الفواجع ولم يذرف الدموع السخينة شأن غيره من شعراء العصر ، وانما رأى ان استشهاد الحسين عثرة من عثرات الدهر التي لا يمكن ان تقال ، وليس للدهر اى عذر يسوغ له هذه النكبات التي صبها على آل الحسين الذين كانوا جبالا . اذن فما على الدهر الا ان يقر نادما او يتخذ المكر والمخادعة فى الغدر ولكن لا يقبل منه ندم او عذر فقد صبت اعماله على ذروة هاشم قمة الشرف والسؤدد والفضل فقال :

عثر الدهر ويرجو ان يقالا

تربت كفك من راج محالا

اى عذر لك فى عاصفة نسفت من لك قد كانوا جبالا

فتراجع وتنصل ندماً او تخادع واطلب المكر احتيالا

فرغ الكف فلا أدري لمن

فى جفير الغدر تستبقى النبالا

نلت مانلت فدع كل الورى

عنك أو فاذهب بمن شئت إغتيالا

لا اقالـــتني المقـــادير اذا كنت ممن لك يادهر أقالا
أزلال العفـــو تبغى وعلى اهل حوض الله حرّمت الزلالا

ولابد من وراء هذا التبرز في هذا المضمار والاختصاص في فن الرثاء الحسيني من عوامل واسباب عمقته وركزته ، فان السيد حيدر الحلي امام اهل هذا الفن وزعيمهم بلا منازع ، وهذا أمر واضح لكل من له أقل إلمـــام بالادب العربي وفنونه وديوانه شاهد صدق على ذلك ، وقد مرت بك سابقا آراء اساطين الادب في شعره وشاعريته ورثائه بالخصوص . والعوامل التي تكمن من وراء هذا التخصص والتفرد هي في نظري :

١ ـ بيئة الشاعر :

نبغ السيد حيدر الحلي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وهي فترة كثرت فيها الشعراء كثرة عجيبة بحيث ان الفحول والمقدمين منهم يعدون بالعشرات (١) ويرى الدكتور عز الدين (وقد برز في هذا المضمار شعراء كثيرون كالخضري وابن كمونة والقزويني وجعفر الحلي ، والتميمي ، والطباطبائي ، وحيدر والنحوي حتى ترجم الشيخ محمد علي اليعقوبي من شعراء الحلة

---

(١) نهضة العراق الادبية / ١٠ .

لاكثر من ثلاثين شاعراً (١) والجدير بالذكر ان جميع الشعراء الذين اشار لهم البصير في نهضته هم من كبار الشعراء وعرب أقحاح بل ان بعضهم ذوو انساب عريقة في العروبة ، وصادف هناك من يشجع الحركة العلمية ويدفع بعجلة الادب ويأخذ بأيدي الشعراء والادباء ... مثل آل القزويني في الحلة ، وآل كبة في بغداد ، واذا ماسرحنا النظر في قائمة الشعراء الذين نبغوا في هذه الفـــترة - في العراق لا في الحلة والنجف فقط ليهرتك تلك الكثرة وهناك أسر لها فضل كبير في تنشيط الحركة الادبية يومذاك منهم آل العمري في الموصل وآل كاشف الغطاء في النجف الاشرف وآل الشاوي وآل النقيب في بغداد ، وقصارى القول لم تكن النهضة في هذه الفترة مقصورة على الفقه والاصول والحكمة والكلام فقط بل كانت نهضة ادب وبلاغة وشعر ولغة راجت فيها أسواق الادب العربي وكثرت نوابغه (٢) ، وهذا ولاشك يصقل الموهبة وينمي القابلية ويشحذ الملكة ويفتق الذهن وياخذ بضبع الناشىء الى مافيه تشذيبه وتقويمه ، ولأجل التوسعة في ذلك يرجع الي ماكتبه البصير في نهضته وعز الدين في خصائصه

---

(١) البابليات ج ٢ .

(٢) البابليات ج ٢ ص ٣ .

وابراهيم الوائلي فى سياسته والخياط فى مرحلته وتطوره .

٢ ـ منافسة شعراء عصره له وصراعه معهم :

رأينا فيما سبق تعظيم الامام الشيرازي ـ قدس سره ـ لمقام شاعرنا واحتفاء السادة الكرام آل قزوين ـ وخاصة أبوهم الامام المهدي ـ بالشاعر وتقديمهم له على سائر الشعراء فى عصره ، ورأينا فيما ذكرنا من موشحة الطالقانى تقديمه السيد حيدر عليه واعترافه له بالتفوق والافضلية ، يضاف الى ذلك نبوغه المبكر واستعداده الفطرى لطلب العلم والمعرفة واحاطته التامة بأيام العرب وتاريخها وحفظه لجيد اشعارهم ومنتخب اقوالهم كل هذه الاسباب ـ شكلت له جبهة معارضة من قبل بعض شعراء عصره ـ وخاصة شعراء النجف ـ وأروي لك هاتين الحادثتين : الاولى ، لما تليت قصيدة السيد حيدر فى رثاء المرحوم السيد مرزا جعفر القزوينى التي مطلعها :

قد خططنا للمعالي مضجعا ودفنا الدين والدنيا معا

تعصب شعراء النجف وأبو إلا السكوت وقد مضى جزء كبير من تلك المرثية البليغة دون استحسان ولا استعاده ، فشق ذلك على المترجم فقال مخاطباً المرحوم الشيخ محسن الخضرى (اذا كان

فى هذا المجلس من أعتب عليه لصمته وتغافله عن اداء حق هذه المرثية فهو انت فأجابه الخضرى :

ميرتنى بالعتب دون معاشـــر

سمعوا وماحى سواى بسامع (١)

أخرستنى وتقول مالك صامتاً وامتنى وتقول مالك لا تعى

(١) ديوان الشيخ محسن الخضرى ص ١٤٩ بتحقيق المرحوم العلامة الفاضل الاستاذ الشيخ عبد الغنى الخضرى . . . رحم الله ابا طاهر واسكنه الفسيح من جناته فلقد كان وايم الحق رجلا فاضلا ذا صفات غر حميدة واخلاق سامية وابرز صفاته رحمه الله تواضعه الجم وبساطته وطيبته ، والمرحوم الخضرى من الشعراء المبرزين والادباء اللامعين حاضر البديهـــة طلق اللسان مليح النكتة ، وكم كان مشوقا لرؤية هذا البحث مطبوعا وقد أقترح عليّ تسميته (حيدر والحسين) لذا رأيت من باب الوفاء وانا اذكر اسمه محققا لديوان عمه الشيخ محسن الخضرى أن اوبنه بهذه السطور .

ولي عودة اخرى للحديث عن صديقي الحميم واخي الشفيق الرؤوم الذى ترك في نفسي فراغا لايسد واني لي بمثل الخضري صفاء ووفاء ودادا خالصا .

واستعاد القصيدة من اولها ونزل خصوم المترجم عن مطية تعصبهم وانضموا الى الشيخ محسن والى إدباء الحلة الذين كانوا يستحسنون القصيدة ويستعيدونها : فسرّي عن خاطر المترجم ونالت مرثيته ماتستحق من اعجاب وتقدير .

وحدث مثل هذا عند تلاوة مرثيته للمرحوم السيد مهدي القزويني ـ طاب ثراه ـ فكظم غيظه الى ان وصل منشده الى قوله :

فقل لعوادي الحتف : شأنك والورى

مضى الفضل والباقون منها فضولها

وآنئذ أعاد عجز البيت وترك المجلس مغضباً ، فبادر خصومه الى استرضائه والاعتذار ، فسامحهم وصفح عنهم وعاد الى المجلس الذي تكهرب منذ ذلك الحين بروح التفاهم والانصاف (١) وهذا لعمري يجعل شاعرنا حذراً للغاية محتاطاً الى اقصى درجات الاحتياط في طريقة معالجته لنظم الشعر شكلاً ومضموناً يتوخى اللفظة المموسقة والصورة الفنية الأخاذة ويدعه كذلك يتوغل في كتب اللغة وآدابها ويسبر أغوار دواوين الشعراء عبر العصور الادبية، وفي هذا مافيه من شحذ وصقل وتنمية وابداع وكيف لايبذل جهده

---

(١) نهضة العراق الادبية / ٤٤ .

ويتعب فكره حتى يبز من يقول فيهم :

سأنشد لا عجزاً ولكن تحمساً

لي الله ايّ الحادثـــات أصارع

وايّ الاعادي أتقي وهم الحصى

عديـــداً وكل بجهر ومصانع

فحيث طرحت اللحظ أبصرت منهم

أخا حنق شخصي لأحشاه صادع

إذا مارآني أزورّ عني طرفـــه

كأني رمح بين جنبيـــه شارع

٣ ـ العامل الثقافي :

تأثر شاعرنا منذ نعومة أظفاره وهو في بداية مسيرته الادبية الصاعدة بالشريف الرضي وتلميذه مهيار ومراثي هذين الشاعرين حافلة بأحد المشاعر والعواطف واصدق الاحاسيس والانفعالات ومفعمة بالحرارة واللوعـــة والمرارة وهذا يرجع الى انهما كانا متشائمين كل التشاؤم ناقمين على الحياة الى ابعد حدود النقمة . وحيدر اطلع على كل ماخلف هذا الشاعران من منظوم الكلام ويذهب البصير الى « فما أظن ان للرضى او لتلميذه مهيار

بيتاً واحداً لم يقرأه حيدر ولم يفهمه فهما كلياً ويتصل هذا العامل اتصالا مباشراً بالعامل الرابع .

٤ ـ العامل النفسي :

نكب ـ كما هو معلوم ـ السيد حيدر بوفاة أبيه أي بعد سنة من ولادته واقترن عمه بأم شاعرنا وعمره اقل من عامين وهذا كله ليس بالامر السهل الهين فاليتم والحرمان اثر عميق في النفوس خاصة إذا صادف نفساً شاعرة حساسة تتأذى من نفحة النسيم البارد فكيف باليتم والحرمان أضف الى ذلك ما مني به من الفقر والمرض في الكبر وكان المترجم ضعيف البنية عليل الجسم وربما كان هذا سببا في غلبة الكآبة على طبعه وانقطاعه الى الرثاء انقطاعاً جعله في طليعة شعرائه (١) هذا عن القسم الظاهر من العامل النفسي ، وأما عن الباطن وهو أن حيدراً من شعراء العواطف الذين خلقوا ليعبروا عما في الحياة من ألم ويترجموا عما فيها من حزن وكآبة فهو شاعر كئيب في فطرته عجنت طينته بماء الحزن وجبلت طبيعته على الشعور بالألم فنشأ باكي الخيال عابس الشعور لاينظر الى الحياة إلا من

(١) نهضة العراق الادبية / ٤٥ .

ناحيتها السوداء ولا يجد فيها شيئا غير الحسرة ولو قدر له - كما يقول البصير - أن يقرأ « روسو » و (كوت) و (شاتوبريان) لترك لنا آثاراً لاتقل عن آلام « فرتر » وتأملات « لامارتين وليالي « موسيه » حدة شعور وقوة عاطفة ومرارة ألم ، ويرى الخياط ان الحلي يعشق الحزن وان ابرز ما عنده هو الالم وإنه من الشعراء الشيعة الذين يغلب الحزن على اشعارهم بصورة عامة للنكبات التي حلت بهم في العصور المتعاقبة (١) ويرى الوائلي (٢) ان انعكاس الحياة في نفسه انعكاساً داكناً قاتما وجهه توجيها حزيناً ظهر اثره في مراثيه للحسين ، ومن هنا يظهر معنى الترابط والاتصال الذي اشرت له في معرض حديثي - عن العامل الثالث - فان اضافة العامل النفسي بلونيه الظاهر والباطن الى العامل الثقافي المستمد من قراءة ديواني الشريف الرضي ومهيار الديلمي والاطلاع على مناحي أدبهم وفكرهم تبين لنا بوضوح كيف تهيأ لحيدر ان يكون فارس حلبة الرثاء في القرن التاسع عشر غير مدافع (٣) .

---

(١) الشعر العراقي الحديث / مرحلة تطور .

(٢) الشعر السياسي / ابراهيم الوائلي ص ١٩٠ .

(٣) نهضة العراق الادبية / ٦٠ .

٥ ـ العامل الذاتي :

وأقصد به ان حيدراً كان يحس احساساً ذاتياً بهول الواقعة وماجرى على أجداده وانصارهم يوم كربلاء من قتل وإبادة فكانت صورة الطف ـ بشكلها المرعب المذهل ـ ماثلة امام عينه لاتبرح مخيلته لحظة ، فهو إن بكى شهداء الطف فانما يبكي مصابه وفجيعته لا مصاباً غريبا عليه لا يجمعه وإياه الا الأسى واللوعة فهو اذن ينعى مجده وكرامته ويرثي أسرته وعشيرته ويتفجع لدوحته ومعاهده وحسبك في هذا مفجراً لقريحته ومهيجا لكوامن شجنه ، ونحن قد قرأنا لشعراء تربطهم والحسين رابطة الولاء والانسانية شعراً يستدر الدمع ويعتصر القلب اسىً ولوعة وقد مثل هذا الشعر واقعة الطف تمثيلا حزينا مؤلماً كالحاج هاشم الكعبي صاحب المراثي الشهيرة واليك بعضا من داليته الشهيرة .

وثواكل بالنوح تسعد مثلها
أرأيت ذا ثكل يكون سعيدا
حنت فلم تر مثلهن نوائحاً
إذ ليس مثل فقيدهن فقيدا

لا العيس تحكيها إذا حنت ولا
الورقاء تحسن عندها الترديدا

إن تنع اعطت كل قلب حسرة
او تدع صدعت الجبـــال الميدا

عبراتها تحيي الثرى لو لم تكن
زفراتها تدع الرياض همـــودا

وغدت اسيرة خدرها ابنة فاطم
لم تلف غير اسيرها مصفـــودا

تدعو بلهفة ثاكل لعب الاسى
ضعفت فأبدت شجوها المكمودا

نادت فقطعت القلوب بشجوهـــا
لكنما انتظم البيان فريـــدا

انسان عيني ياحسين اخي يا
املي وعقد جماني المنضـــودا

مالي دعوت ولا تجيب ولم تكن
عودتني من قبـــل ذاك صـدودا

ألمحنـــةٍ شغلتك عني ام قلىً
حاشاك انـــك ما برحت ودودا

أرأيت هذه القطعة الشعرية الحزينة . . . أرأيت هذه النفثات الحرى والآهات المحرقة ، فكيف الحال في الحيدر وهو ابن الحسين (١) والشاعر العاطفي الكئيب ، حقا ان حيدر عندما يرثي الحسين انما يرثيه رثاء انسان موتور حساس يرى حقوقه مهدرة وكرامة جريحة انه ليرثى رثاء محزون اصيب جده الحسين وآله فهو يرثى اقرب الناس اليه الذين يعزه عزّهم ويرفعه مجدهم ويباهى ببطولتهم وحروبهم (٢) اذن فهو انسان موتور حساس يترجم عن احاسيسه وعواطفه تجاه من وتره في أهله وفي هذا مافيه من صدق واصالة وابداع .

٦ ـ العامل العقائدي :

غنى عن البيان القول بأن واقعة الطف لا تمثل الجانب المأساوي ـ وحسب ـ فان الجانب العقيدي من أجلى جوانبها بل هي العقيدة بعينها ، أي غرض للحسين من وراء قيامه بتلك النهضة الجبارة غير احقاق الحق وابطال الباطل بعد ان رأى العبث بالاحكام والنواميس لهذا يشير شيخنا ـ التستري ـ

---

(١) ومن الجدير بالذكر ان السيد حيدر حسيني النسب .

(٢) الشعر العراقي أهدافه وخصائصه .

اعلا الله مقامه في خصائصه ـ (الاسلام محمدي الحدوث حسيني البقاء) فالشاعر قد وعى كل ذلك وادركه ادراكا كاملا فهو إذن يشيد بتلك الماثر والمكرمات من وراء اشادته بالحسين ويفخر بتلك النتائج والمكاسب التي حققتها ثورة جده من وراء فخره وتعداده لامجادهم ومكارمهم ، وقد تجلى ذلك في شعره الذي رثى به الحسين ، وتعال واسمع خطابه لتربة الطف :

ياتربة الطف المقدسة التي
هالوا على ابن محمد بوغاءها (١)
حيت ثراك فلاطفته سحابة
من كوثر الفردوس تحمل ماءها
واريت روح الانبياء وإنما
واريت من عين الرشاد ضياءها

اذن ظهر السر في دعوة الشاعر لثرى تربة الطف المقدسة في أن تلاطفها سحابة تحمل ماءها من كوثر الفردوس لانها وارت روح الانبياء ولأنها ضمت بين حناياها ضياء عين الرشاد فعلى ماذا يدل هذا الشعر ؟ وهو وإن أبدى الجزع ولكن جزعه لشيء اسمى من المعنى المعروف :

(١) الديوان ج ١ ص ٥١ .

جزعاً ليوم فيـــه قد غلب الفساد على الصلاح (١)

انه ليعي وعياً كاملاً ان ثورة جده هي - في الله - وليس غير الله من مطمح أبداً .

وحسامه في الله يسفح من دماء بني السفاح (٢)

وهو لا يعقد المآتم في السماء والارض من اجل البكاء والنياح اللذين يصدران عن الالم العاطفي والشجن النفسي بل لان الملائك ينعون الاسلام والهدى ويبكون المثل والنواميس المقدسة :

نعى الروح جبريل بان ذوى الغدر
أراقوا دم الموفين لله بالنـــذر

نعى مقلة الاسلام فأحتلب الشجى
دماء أفاويق الدموع من الصخر

نعى من دعا بالدين حيّ على الهدى
أناسا دعوا بالشرك حي على الكفر

نعى داعيـــا لله حيـــاً وميتا
وفي زبر الأسياف يصدع والذكر

(١ - ٢) الديوان ج ١ ص ٦٨ .

نعى ساجداً صلت الى الله روحه
قضى رأسه المرفوع من سجدة الشكر
نعى من بجنب الله للموت نفسه
يجود بها بين القواضب والسمر
نعى من أعار الله بالطف هامه
ومن قلبه فيها اقام على جمر
نعى ذات قدس يعلم الله انها
منزّهة الأفعال في السر والجهر (١)

اعرفت (الآن السر) اعرفت لماذا ينعى جبريل الحسين ؟ ينعى المنزّه في السر والجهر ومن اعار الله بالطف هامه نعى من عانقوا السمر الطوال والفوا قراع الخطوب والاهوال ، نعى من تجسدت فيهم الحمية والاباء باجلى صورها وابرز ملامحها ، نعى من توجوا بالشرف المؤبد الخالد ...

وقفوا والموت في قارعة لو بها أرسي ثهلان لمالا
فأبوا الا اتصالا بالضبا وعن الضيم من الروح انفصالا
ارخصوها للعوالي مهجا قد شراها منهم الله فغالى

انها مهج عزيزة كريمة تأبى الانفصال عن الروح ولكن لو

---

(١) الديوان ج ١ ص ٨١ .

دعا داعي الله ترى تلك المهج رخيصة في جنب الله وسبيله هل بعد هذا يصح قول من يقول بأن شعر السيد حيدر لايمثل الا الصياح والاستغاثة ان فيما قدمته من نماذج شعرية ـ وانا في معرض حديثي عن العامل العقائدي ـ يدل دلالـة واضحة على عقيدة شاعرنا ووعيه الكامل لفلسفة النهضـة الحسينية وانه لم ينطلق في مراثيه الشهيرة الخالدة من منطلق عاطفي او مأساوي ـ فقط ـ .

فى موكب الرثاء :

ينقسم رثاء الشاعر الى قسمـين ، قسم رثى بـه آل محمد والحسين بالخصوص وما جرى عليه يوم الطف ، والاخر في رثاء العلماء والسادات وبعض اصدقائه واودائه وبني لحمته ، ومن المدهش ـ كما يقول البصير ـ ان يجيد شاعرنا في اكثر هذه المراثي التي تعـد بالعشرات علاوة على اجادته فى رثائه الجـم لاهل البيت اجادة بالغة ، وان يحسن إحسانا غير قليل حتى في هذه المراثي التي يقولها تلبية لرجاء واجابة لالتماس وهذا ما يعزز رأينا في ان حيدراً من شعراء العواطف الحزينة وقد خلق ليكون اللسان المعبر عن الاحاسيس المؤلمـة والعواطف الحادة

المحرقة واليك الآن بعضاً من مرثيته البليغة لعمه وولي نعمته واستاذه السيد مهدي بن السيد داود :

أظبى الردى انصلتي وهاك وريدي
ذهب الزمان بعدتي وعديدي
طلعت عليّ الحادثات ثنيـة
لا يهتـدي لرتاجها المسدود
والي قد طلعت ذرى من شاهق
لا ترتقى هضباتـه بصعود
فنزعن من كفيّ قائم ابيض
أعددتـه للقـا الخطوب السود
قد ملت نحو الصبر حين فقدته
فاذا المصاب بصـبري المفقود
أفهـل أذود الحادثات بكفيّ
الجـذاء أم بحسامي المغمود ؟

وينتقل الشاعر الى أيام سعادته وهنائـه وعيشـه الغض الكريم ... أيام كان عمه احنى عليه من ابيه :

عجباً أمنت الـدهر وهو مخاتلي
ورقـدت والايام غـير رقود

وأنا الفداء لمن نشأت بظله
والدهر يرمقني بعين حسود

لم ادر مالفح الخطوب بحرّها
وهواجر الايام ذات وقود

مازلت وهو عليّ احنى من ابي
بألذّ عيش في حماه رغيد

حتى رماني في صبيحة نعيه
ارسى بداهية عليّ كؤود

ففقدته فقد النواظر ضوءها
وعججت عجة مثقل مجهود

مالى وللايام قوّض صرفها
عني عماد رواقي الممدود

عثرتْ فجاوزت الاقالة عثرة
وطئت بها انفي وانف الجود

ومضت بنخوة هاشم وإبائها
فطوتهما والصبر في ملحود

حملت بكاهلها الاجب لفقده
ثقل المصاب وركنها المهدود (١)

---

(١) الديوان ج ٢ ص ٨٨ .

ويستفهم استفهاما انكاريا من الدهر الذي يستعذب ماء بكائه والذي يطربه رنين نعيه ولوعته ، فقال من مرثية حزينة باكية قالها في رثاء ولدٍ له امتدت له يد المنية في مقبل العمر :

هل يطربنك يازمان نعائي ام انك استعذبت ماء بكائي

في كل يوم منك القى شـدة
ولانت يوما شـدة ورخاء

لا زلت ملحـم غادرة الارزاء
أو حاشداً جيشاً من النكباء

وما ابدع جوابه ورده على لامه في حزنه على طفله ، فقال مايعتصر القلوب المأ ويحز في النفوس شجى ولوعة :

ومعنف طرب المسامع ما رمى
عينيه صرف الدهر بالاقـذاء

امعيب حزني لو ملكت تجلدي
مابتُ امـزج ادمعي ببكائي

ابنيّ لو خلع البقاء على امرىء
لخلعت من شغف عليك بقائي

مغف قد امتلأت ردى بدل الكرى
عيناك فاقـد لـذة الاغفـاء

داء ترحـل فيك عني معقب
في مهجتي للوجـد اقتل داء
لهفي عليك بكل حين ابتغي
فيـه لقاك ولات حـين لقاء
ولئن حجبت بحيث انت من الثرى
عن ناظري فأنت في احشـائي
قربت بك الذكرى وفيك نأى الردى
نفس فدؤاك من قريب نـاء
لو مت من اسفي عليك فلم يكن
عجبا ولكنّ العجيب بقائي (١)

وتنفجر قريحته انفجاراً عجيبا ويختار وزنا راقصا يعرب عما في نفسه من لوعة وأسف وحرقة وذلك عندما رثى المرحوم العلامة ميرزا جعفر القزويني ومعزيا أباه العلامة الكبير السيد مهدي القزويني :

قد خططنا للمعالي مضجعا ودفنا الدين والدنيا معا
وعقدنا للمساعى مأتمـا ونعينا الفخر فيه اجمعا
آه ماذا وارت الارض التي سبق العالم فيهـا اودعا

---

(١) الديوان ج ٢ ص ٦٣ .

وارث الشخص الذي في حمله

نحن والامــلاك سرنا شرعا

صاحب النعش الذي قد رفعت

بركات الارض لمــا رفعــا

ويلتفت ناحية أفعى الليالي، الافعى التي تضم بين جوانحها سما ذعافا مهلكا لكل نبيل، ويطلب منها أن تنهشه بنابيها فان من يثني أفاعي الليالي عن نهشها ولدغها قد مات :

هــاك يا أفعى الليالي كبدي

فانهشي منهــا بنابيك معا

مات من يثنيك يانضاضــة

ترشحــين الموت سما منقعا

واقشعري ايهــا الارض بنــا

فهمام الجــود عنا انقشعا

وطراف المجــد قوّض زائلا

فعماد المجــد منك انتزعا

عثر الدهر فقولا لا لعا فخذا باللوم منه اودعا

فلقد جاء بها قاصمــة خلعت صلب العلى فانخلعا

انتهت كل الرزايا عندها فتعدّى العذل والعذر معا

ادرى أيّ صفات قرها أم درى أيّ قناة صدعا

ويعرج بعد هذا معزيا اباه المهدي :

فاستحالت مقلة الدين قذى طبته (المهدي) حتى هجعا

إنما المهدي فينا آيـــة بهر الخالق فيما ابتدعا

لم يزعزع حلمه الخطب الذي لو به يقرع رضوى زعزعا

ملك الاجفان لكن قلبه

والجوى خلف الضلوع اصطرعا (١)

فأنت ترى فيما قدمنا من نمـاذج رثائية الحرارة والجودة والتشبيهات الحسنة فهو محسن فيهـا الى حد غير قليل ، وللسيد حيدر مرثيتان جليلتان ينص الديوان على انه رثى بهما بعض الناس على لسان احد الاشراف مطلع احداهما .

أأحبابنا هل عائد بكم الدهر

طواكم وعندي من شمائلكم نشر

ومطلع الثانية :

أما والهوى العذري مابت ناسيا حبيبا بعيني للكرى كان ثانيا

وللبصير تعليق لطيف على هاتين القصيدتين (٢) ... ففي هاتين

---

(١) الديوان ج ٢ ص ١٢٤ .

(٢) نهضة العراق الادبية ص ٦٦ وقد وجدت في هذا =

القصيدتين من رقة الشعور وحرارة العاطفة ما يخيل لك معه ان الشاعر يبكي حبيبا اسر لبه وتيتّم قلبه ونفذ الى اعماق نفسه مع ان الحقيقة أنه يبكي انسانا لم يقع بصره عليه في يوم من الايام . وقد لايخلو من فائدة ان اقول لكم انه يرثي بهاتين

= الكتاب شطحة لاتغتفر للمرحوم البصير وقد فاتني ذكرها - فيما سبق - والشطحة وردت في ص ٢٠٧ عند ترجمته للمرحوم الشاعر الرقيق الشيخ عباس ملا علي النجفي قال (... ومن انه لم يكن يتحاشى شرب الخمر) وقد بنى حكمه على ما ورد في قصيدة للشاعر عبد الباقي العمري مرسلا بها الشاعر مستلا حكمه من البيت التالي :

(حبيب) إذا انشى (صريع) اذا انتشى

بديع إذا وشى (غريض) اذا غنى

وفي رأيّ - وهو الصحيح - ان البيت لايشكل دليلا على ما ذهب اليه البصير وما أكثر ورود تلك الصور والمعاني في قصائد المراسلة والمساجلة والمديح والاخوانيات ويعرف هذا من له اقل إلمام بالادب والشعر وفنونه ، ولنا غير ذلك من المؤخذات والاستدركات على الكتاب المذكور سنذكرها في حينها في كتاب خاص .

القصيدتين فتاة خطبها شريف عظيم المنزلة فحيلَ بينها وبينه لسبب من الاسباب وتوفيت بعد هذه الخطبة الفاشلة بقليل ومن يدري لعلها ماتت اسفاً على مافاتها من شرف الاقتران بذلك الرجل النبيل وحزن الخاطب الجليل على وفاة تلك الفتاة حزنا شديداً افضى به الى حيدر وسأله ان يعبر عنه بهاتين المريثتين الرقيقتين ، وهذا مايحدونا الى الاعتقاد اكثر بأن السيد حيدر ذو استعداد فطري قوي للتعبير عن الحزن ايا كان نوعه وايا كان مصدره وقال بعد المطلع الاولى :

سلام على تلك المحاسن إنها
مضت فمضى في اثرها الزمن النضر

لعمري لئن قد اقفر الجزع منكم
فربع الاسى من بعدكم طلل قفر

اشاق اليكم كلما عنّ بارق
وآية شوقي انّ دمعي له قطر

لي الله بعد اليوم من لي بقربكم
وابعد غاد من اتى دونه القبر

قفوا زوّدونا إنما هي ساعة
ووعد التلاقي بيننا بعده الحشر

رحلتم وقلبي شطره في ظعونكم

وللوجد باق منه في اضلعي شطر

وشيعتكم والدمـــع يوم نواكم

غريقان فيه خلفكم أنا والصـــبر

ولمـــا وقفنـــا للفراق وقرّبت

حمولة بين لا يكـلّ لها ظهر

ربطت بكفيّ الضلوع على حشاً

تكاد خفوقاً ان يطير بها الذعر (١)

كأنّ نياط القلب شدّت حمولكم

به وبكم عنّى مـذ انفصل السفر

واليك بعضا من الثانية :

سلوت إذن والله حق حشاشتي

على عزّها إن كنت أمسيت ساليا

وريّان من ماء الصبا غصن قده

برغمي يمسي في ثرى اللحد ذاويا

فجعت به حلو الشمائل بعدمـا

ولعت به غض الشبيبـــة ناشيا

---

(١) الديوان ج ١ ص ١١٦ .

فكم لي على الذكرى اليه التفاتة
كأن لم يكن بالامس وسـِد ثاويا
ولائمة لامت ولم تدر ما الجوى
ولا كيف يرعى المستهام الدراريا
تلوم ولا سمعي لها فيجيبها
الى سلوة قلبي ولا قلبها ليا
ولو وجدت للبين ماقد وجدته
غدا آمري بالحزن من كان ناهيا

الى أن يقول — رحمه الله —

أحباي لا والله ما عشت سلوة
ولا بكم استبدلت خلاً مصافيا
ولما سرى الناعي بكم فاستفزني
ونادى منادي البين أن لاتدانيا
ربطت الحشا بالراحتين ولم أخل
تطيح شظايا مهجتي ببنانيا
وعندي مما ثقف البين اضلع
غدون على جمر الفراق حوانيا
وعين بلا غمض كأن جفونها حلفن بمن تهواه ان لاتلاقيا

وقلب متى يابرق يقدحك الاسى

قدحت به زنداً من الشوق واريا

ولي في زوايا ذلك النعش مهجـــة

ترف رفيف الطير يفحص داميا (١)

ورثاؤه لآل محمد يقع في ثلاث وعشرين قصيدة ومقطوعتين (٢) وفي هذا القسم من الرثاء يستحيل الشاعر سبعا ضاريا يزبجر ويدمدم فتحس وانت تقرأ هذا الرثاء بأن الكلمات حمم حارقة وشظايا تتطاير من ههنا وهنا ، ولا ضير على الشاعر في ذلك لما قدمنا من أسباب وعوامل عمقت هذا الشعور في نفسه والحق ان الحسين (ع) كهرب مشاعر السيد وامتلك عليه لبه وأحاسيسه وحفرت تلك الرزيا في قلب الشاعر اخاديد من الحزن والألم فهو المعزى والموتور وهو الجريح المكلوم ، وهناك شيء ينبغي الالتفات اليه والوقوف عنده بتأمل وهو ان آل محمد ارادوا ان يكون السيد حيـــدر الحلي هو شاعر الطف واللسان المعبر عن مآسيهم واحزانهم ومن طريف ما يروى في

---

(١) الديوان ج ٢ ص ١٦٠ .

(٢) خلافا لما ذهب اليه البصير حيث قال (. . . واربع مقطوعات) نهضة العراق ص ٦٠ .

هذا الصدد مارواه الشيخ في (ظرافة الاحلام) ص ٥٨ قال : اخبرني العلامة السيد حسن صدر الدين الكاظمي المتوفى سنة ١٣٥٤ هـ قال أخبرني الاديب السيد حيدر الحلي قال : رأيت في المنام ذات ليلة فاطمة الزهراء (ع) فأتيت اليها لأسلم عليها فلما دنوت منها قالت لي .

اناعي قتلى الطف لازلـــت ناعيا
تهيج على طـــول الليالي البواكيا
اعد ذكرهم في كربلاء ان ذكرهم
طوى جزعاً طي السجـــل فؤاديا

قال فأخذني البكاء وانتبهت وانا احفظ البيتين وجعلت اتمشى في بهو لي وارددها وابكى ففتـح الله علي ان قلت ... القصيدة » (١) .

وكان الحلي شديد العنايـة بشعره الرثائي الحسيني ويرى

---

(١) البابليات ج ٢ ص ١٥٦ وكذلك وردت هذه الحكاية في كتاب الدجيلي (الجواهري شاعر العربية) ص ١٤ مع اختلاف بسيط بينهما حيث ذكر الدجيلي ان السيد رأى الامام في المنام وخاطبه بصدر البيت الاول فقط .

المرحوم الاستاذ عبد الكريم الدجيلي (١) ان السيد حيدر كان ينظم قصيدة في رثاء الحسين كل عام ومن هنا كان شعره في رثاء الحسين اجود مافي ديوانه ، ويحدث عن المرحوم اليعقوبي قال عثرنا فى مخلفات السيد حيدر الحلي الادبية على مظروف فيه سبعون نسخة من قصيدته العينية « الله ياحامي الشريعة » تكاد كل نسخة تغاير الأخرى ، وقصارى القول ليس هناك شاعر يضارع الحيدر في مراثيه للحسين حتى السيد جعفر الحلي الذي يأتي في الدرجة الثانية بعد شاعرنا اخفق في كثير من الصور والتشبيهات عن الوصول الى ماوصل اليه السيد حيدر وأنى له ان يضاهيه في قوة شعره وسبكه للالفاظ وموسيقاه الساحرة فان ما وصل اليه شاعرنا من تفوق في رثاء الحسين لايمكن لشاعر أخر ان يصل اليه وقد يقارب السيد حيـــدر ببعض قصائده ولكنه لا يقدر ان يجاريه او يسمو الى ماسما اليه السيد حيدر (٢) ، واليك بعضا من لامية السيد جعفر وهي التي أودعها

---

(١) الجواهري شاعر العربية / ١٤ .

(٢) الشعر العراقي اهدافـه وخصائصه للدكتور يوسف عز الدين وبالمناسبة وجدت في كتاب الدكتور هذا اشتباها في صفحة ٤١ حيث نسب البيتين التاليين للمرحوم العلامة الشيخ =

تأوهه وحماسته لأخذ الثأر :

ألا لاسقت كفي عطاشى العواسل
إذا انا لم أنهض بثأر الاوائـــل

وإن انا لم أوقد لظى الحرب بالظبا
فلا رجّعت باسمي حداة القوافل

تفرّسن فيّ المرضعات مهابـــة
فما حدثتهن الظنون بباطـــل

= عبد الغني الخضري :

أيمنع الاسلام ضلة غاشم   وحفيظ دين الله ان يتشعبا

شكراً لنعمتـــك التي اسديتها
فبررت فيهـــا المصطفى والمجتبى

والبيتان من قصيدة طويلة مثبتة في ديوان المرحوم الشيخ محسن الخضري وفيها يخاطب المرحومين الحاج مصطفى كبة والحاج محمد حسن كبة في سنة ١٢٩١ هـ والشيخ عبد الغني الخضري ولد في سنة ١٣٢٥ هـ ـ كما هو موجود في ديوانه ـ وقد صدر ديوان عمه المحسن بتحقيقه ولربما حصل الاشتباه للدكتور من هنا .

لمحن على وجهي حمايـــة ضيغم

وجرأة مقـــدام وسطوة باســـل

سأقتادها بالهاشميين ضمّـــراً

يجلن فيملأن الفلا بالصواهل

إذا صيح يالثأر في صهواتهـــا

زففن الى الهيجا زفيف الاجادل

تخال نعامي تحت اسد ضراغم

وماهي إلا الخيل تحت البواسل

أأغضي وما غاب المثقف عن يدي

وذو الفقرات البيض طوع أناملي

توعد الشاعر هنا واغرق في امتداح أخلاقه ووصف نفسه وبالغ في هذا الوصف وأبعد في الخيال دون ان يصل الى ماوصل اليه السيد حيدر من جمال التعبير وضخامة الأسلوب (١) واليك هذا المقطع من ميمية السيد حيدر الشهيرة :

إن لم اقف حيث جيش الموت يزدحم

فلا مشت بي في طرق العلا قـــدم

---

(١) الشعر العراقي اهدافه وخصائصه / ١٠١ .

لابدّ أن أتداوى بالقنـــا فلقد
صبرت حتى فؤادي كلــه الم

عندي من العزم سر لا ابوح به
حتى تبوح به الهنديـــة الخــذم

لا أرضعت لي العلا إبناً صفو درتها
إن هكذا ظلّ رمحي وهو منفطم

لأحلبنّ ثديّ الحرب وهي قناً
لبانها من صدور الشوس وهو دم

مالي أسالم قوما عندهـــم ترتي
لا سالمتني يدُ الايام إن سلموا

ويتوجه بالخطاب الى الامام المنتظر - عج -

يابن الالى يقعدون الموت ان نهضت
بهم لدى الروع في وجه الضبا الهمم

الخيـــل عندك ملّتها مرابطها
والبيض منها عرى اغمادها السأم

اعيذ سيفك ان تصدى حديدته
ولم تكن فيه تجلى هذه الغمم

وإن اعجب شيء ان اشكها
كأنّ قلبك خالٍ وهو محتـــدم

ماخلت تتعد حتى تستثار لهــم

وأنت أنت وهم فيما جنوه هم

ولا أريد ان اعقد مقارنة بين شعر الحليين الرثائي ، فان تبرز السيد حيدر وتفوقه وزعامته لفن الرثاء امر مفروغ منه لا يختلف في ذلك إثنان ، ومن الحق ان نقول ان السيد في رثائه للحسين وشهداء الطف اكثر حرارة واشد تفجراً وادق صورة وابدع وصفاً واضخم اسلوباً وانقى ديباجة من سائر مراثيه لما ذكرناه من اسباب وعوامل لا المبالغة والارتفاع والمباهاة (١) بأمجاد وصفات ممدوحيه فيخرجه هذا الى حد المبالغة المقبولة كما يقول الدكتور يوسف عز الدين وما كتبه الدكتور آل عز الدين نفسه عن السيد حيدر كافٍ في توضيح الأمر . . . منه على سبيل المثال « . . . لان الشاعر قد امتاز بالصدق في العاطفة والجزالة في الاسلوب فقد كان يرثي الحسين رثاء إنسان موتور حساس يرى حقوقه مهدرة وكرامته جريحة . . . (٢) » ان رثاء السيد حيدر للحسين وآله وتعداده لصفاتهم ومآثرهم منتزع من صميم الواقع والحقيقة وما اظن ان السيد قد وفى حق اجداده الكرام وانى له ذلك وما ابدع قول الجواهري في هذا المقام :

(١ ـ ٢) الشعر العراقي اهدافه وخصائصه ص ١١٧ .

تعداد مجـد المرء منقصة إذا
فاقت مزاياه عن التعـداد

وكثيراً ماترى في ثنايا قصائده الرثائيـة تطاولاً وخطابات عنيفة للمهدي المنتظر وسائر آل فهر وهاشم ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر :

فقـل لنزار ما حنينك نافـع
ولو مت وجـداً بعدهم وتزفرا
حرام عليك المـاء مادام مورداً
لأبناء حرب أو ترى الموت مصدرا
وحجر على أجفانك النوم عن دم
شبا السيف يأبى أن يطل ويهدرا
وتهـدأ أعين الطالبي وحولهـا
جفون بني مروان ريّا من الكرى
كأنك يا أسياف غلمان هاشم
نسيت غـداة الطف ذاك المعفرا

قف قليلا متأملاً في قوله السابق (كأنك يا أسياف غلمان هاشم فماذا تستوحي منها من معان ودلالات ؟ أليس في وسع الشاعر ان يقول (فتيان شجعان ـ فرسان الخ) لا ولكنها

مخاطبة العم لاولاده وذويه ، مخاطبة من يرى نفسه والاسرة الموتورة على صعيد واحد من الشكل والفجيعة ولو قيل ان الشاعر يقصد خدم بني هاشم ومواليهم وهذا يرد بقوله من عجز البيت نفسه (نسيت غداة الطف ذاك المعفرا) فهو هنا يذكرهم بجسد ابي الشهداء الحسين بن علي بن ابي طالب ، والعبيد لا يطالبون بأخذ الثار وخوض اهوات الحروب ، وما اكثر ورود تلك الخطابات والاستنهاضات المؤثرة وما اقسى عتابه المر اللاذع لهم :

لتلو لوي الجيد ناكسة الطرف
فهاشمها بالطف مهشومة الانف
وفي الارض فلتنثل كنانة نبلها
فلم يبق سهم في وفاضهم يشفي
ويامضر الحمراء لاتنشري اللوا
فان لواك اليوم اجدر باللتف
ويا غالباً ردي الجفون على القذى
لمن انت بعد اليوم ممدودة الطرف
لتنض نزار الشوس نثرة زغفها
فبعد ابي الضيم ماهي للزغف (١)

(١) الزغف : الدرع الواسعة .

ولما يستبد الحزن به يشيح بوجهه عن ملاعب انسه وصباه ويعنف نديمه الغض الوسيم ويبعده ويخاطبه بحزن وانكسار :

تركت حشاك وسلوانهـا فخلّ حشاي واحزانهـا

اغض الشبيبة عني إليك فقضّ بزهوك ريعانهـا

ودعني اصارع همي وبت صريع مدامك نشوانهـا

قد استوطن الهم قلبي فعفت لك الغانيات واوطانهـا

عدوت ملاعب ذات الاراك فلست ألاعب غزلانهـا

لابدّ من وراء ذلك سبب يقتضي هذا الحزن والهم والاشاحة عن معاهد الانس والطرب :

كفاني ضنأ ان ترى في الحسين

شفيت آل مروان اضغانهـا

فاغضبت الله في قتلـه وارضت بذلك شيطانها

إذن فالشاعر لا يرضى ولا تهدأ له ثائرة حتي يطرد قومه الهم من قلبه :

اجبنأ عن الحرب يامن غـدوا

على اول الدهـر اخدانهـا

أترضى اراقمكم ان تعدّ بنو الوزغ اليوم اقرانها

يميناً لئن سوّفت قطعها فلا وصل السيف ايمانها

وان هي نامت على وترها فلا خالط النوم اجفانها

تنام وبالطف علياؤهـا اميـــة تنقض اركانها

تصفح شعر الرثاء جميعه ـ ورثاء الحسين بالخصوص ـ من يوم حادثة الطف وحتى العصر الحاضر لم ولن تجد هذه الحرارة واللوعة ولن تعثر على هـذه الصور الاخاذة المشجية . . . هل تستطيع ان تأتى بمثل هذه الصورة .

عفيراً متى عاينته الكماة يختطف الرعب الوانها

فما اجلت الحرب عن مثله صريعا يجبّن شجعانها

تريب المحيا تظن السماء بأن على الارض كيوانها

ويصرخ تارة بوجه آل فهر فيرسلها حمماً حارقة :

لانوم حتى تعيـــد الشم عزمتكم

قاعاً بها لاترى امتـــاً ولا عوجا

في موقف يخلط السبع البحار معا

بمثلها من نجيع قـد طغت لججا

لاصبر ياآل فهر وابن فاطمـــة

يمسي وكان امان الناس منزعجا

الله اكبر آل الله مشربهـــم

بين الورى بذعاف الموت قد مزجا

وهو في عتابه واستنهاضه يخرج عن الحد المألوف من العتاب واللوم ويدخل الى ميدان التقريع والتوبيخ والتطاول وهو ميدان انفرد به وما شاركه فيه أحد ولا خطرت تلك الخطابات ببال شاعر أبداً :

أو لم تناهض آل حـــرب هاشم

لا بشرت علويـــة بجنـــين

أقرأ معي البيت ثانية بتمعن وروية هل يستطيع غير الحلي ان يقول ـ لا بشرت علوية بجنين ـ ثم يستمر في نونيته الخالدة

امعلل البيض الرقاق بنهضـــة

في يوم حرب بالردى مشحون

كم ذا تهزك للكريهـــة حنة

من كل مشجية الصهيل صفون

طال انتظار السمر طعنتـــك التي

تلد المنون بنفس كل طعين

عجباً لسيفك كيف يألف غمده

وشبـــاه كافل وتره المضمون

لله قلبك وهو اغضب للهـــدى

ما كان اصبره لهتك الدين

ايمينكم فقدت قوائـم بيضها

أم خيلكم اضحت بغـير متون

وهل سمعت ان شاعراً خاطب الحجة المنتظر ـ عج ـ أو عاتبه بمثل هذا :

فيما اعتذارك للنهوض وفيكم

للضيـم وسم فوق كل جبين

ويمضي في نونيته هذه ويرسم بريشة المفن الماهر مصرع ابي الشهداء وهوّيه الى وجه الثرى ضريبة لسيوف اعداء الله :

لامثل يومكم بعرصـة كربلاء

في سالفات الدهر يوم شجون

قد أرهفوا فيه لجـدك أنصلاً

تركت وجوهكم بلا عرنـين

يوم أبي الضيم صابر محنـة

غضب الأله لوقعها في الدين

سلبته اطراف الاسنة مهجـة

تفـدى بجملة عالم التكوين

فثوى بضاحية الهجير ضريبـة

تحت السيوف لحـدّها المسنون

وقفت له الأفلاك حين هوّيه

وتبدلت حركاتها بسكون

وهل رأيت يوماً العفاف يركض خلف الضعون دامع العين لاهث الانفاس ؟ ... أظنك ماسمعت بهذا ؟ تعال اذن وأقرأ :

لو تراها والعيس جشمها الحـا

دي من السير فوق ما تستطيع

ووراها العفاف يدعو ومنه

بدم القلب دمعه مشفوع

ياترى فوقه بقية وجد

ملء احشائها جوى وصدوع

فترّفق بها فما هي إلا

ناضر دامع وقلب مروع

لاتسمها جذب البرى أو تدري

ربة الخدر ماالبرى والنسوع (١)

قوضي ياخيام عليا نزار

فلقد قوّض العماد الرفيع

---

(١) البرى : حلقات توضع في انف الناقة ، النسوع حبال طوال تشد بها الرحال .

وأملأي العـــين يا أميـــة نوماً

فحســـين على الصعيد صريع

وهذه الابيات من قصيدته العينيـة الشهيرة التي يقـول في مطلعها :

قد عهـــدنا الربوع وهي ربيع

ايـن لا اين انسهـــا المجموع

درج الحي ام تتبع عنهـــا

نجع الغيث ام بدهيـــاء ريعوا

لا تقل شملها النوى صدعتـــه

إنما شمـــل صبريّ المصدوع

لا يمكننا الاستشهاد بكل شعر السيد الرثائي وإذا اقتصرنا على بعضه فالمسألة لا تخلو من حيرة لان المستشهد بشعر السيد الرثائي كالداخل الى حديقة غناء مكتضة بالورد والآس والنسرين فيحار والحالة هذه من ايّ زهرة فواحة الأريج يستنشق العطر ومن اي غصن مياس يقطف الورد الذكي ، وكل مانرجوه أن نوفق في اختيار النماذج التي تعتبر قمة رثاء السيد ـ وكل رثائه الحسيني قمة ـ وهاك الان بعضا من لاميته الشهيرة التي استحوذت على مشاعر شوقي الشاعر المصري المعروف وهو من هو في عالم الشعر

والاعتداد بالنفس وقضاياه مع المرحوم الشيخ عبد المحسن الكاظمي معروفة :

عثر الدهر ويرجو أن يقالا
تربت كفك من راج محالا (١)

أى عـذر لك في عاصفـة
نسفت من لك قد كانوا الجبالا

فتراجـع وتنصـل ندمـاً
او تخادع واطلب المكر احتيالا

انزوعاً بعدمـا جئت بهـا
تنزع الاكباد بالوجـد اشتعالا

قتلت عـذرك إذ انزلتهـا
بالذرى من هاشم تدعو نزالا

فرّغ الكف فلا أدري لمن
في جفير الغـدر تستبقي النبالا

نلت مانلت فدع كلّ الورى
عنك او فاذهب بمن شئت اغتيالا

لا أقالتني المقـادير إذا كنت ممن لك يادهر أقالا

---

(١) الديوان ج ١ ص ١٠٠ .

أزلال العفـــو تبغي وعلى

اهل حوض الله حرمت الزلالا

وقد تفوّق السيد حيدر على كثير من الشعراء الذين كانوا وما زالوا يذرفون الدموع ويلطمون الوجوه ويثيرون في النفوس نوازع الرحمة والحنان فأضاءوا روعة جهاد الحسين وقدسية النضال.

فلنقرأ ما قاله حيدر في وصف آل محمد يوم الطفوف:

أسرة الهيجاء أتراب الظبـــا

حلفاء السمر سحبا واعتقالا

فهم الأطواد حلمـــاً وحجاً

والضبا والأسد غربا وصيالا

إن دعوا خفوا الى داعي الوغى

واذا النادى احتبى كانوا ثقالا

ولهم كل طموح لا يرى

خد جبار الوغى الا نعـــالا

فأبوا الا اتصـــالا بالظبـــا

وعن الضيم من الروح انفصالا

أرخصوها للعوالي مهجـــاً قد شراها منهم الله فغالى

انه لعمري المدح الذي يهز النفوس والقريض الذي يفخر أن

يقوله الشاعر للحسين ، وهو جدير بآل الرسول الذين كانوا ابطالاً مغاوير واجواداً مطاعيم مدافعين عن مبادئهم ببطولة فذة ، وشجاعة نادرة لأن اميز صفات العربي التي يتغنى بها هي : البطولة والشجاعة والكرم والعزة وقد اظهرها حيدر في شعره وتلك صفات العلويين التي يجب ان تتمثلها الامة وتحتذي حذوها الافراد (١) . ويصرخ بحشا الدين وقلب الهدى ان قد اصبتم بداء عضال لاشفاء معه فأبناء علي قد ضرجوا الاديم بدمهم الزكي الطاهر وبقيت تلك الجثث الزواكي على رمضاء كربلاء بلا غسل ولا كفن :

يا حشا الدين ويا قلب الهدى
كابدا ما عشتما داء عضالا
تلك ابناء علي غودرت
بدماها القوم تستشفي ضلالا
نسيت ابناء فهر وترها
أم على ماذا أحالته اتكالا

وقد زخر ديوان شاعرنا المطبوع بجزئيه بكثير من الالتفاتات الرائعة واجاد اجادة تامة حينما كان يصف مواقع الحسين

---

(١) الشعر العراقي اهدافه وخصائصه .

وموقفه من الجهاد ومن تلك الصور الفنية الاخاذة قوله :

والحقها شعواء تشقى بها العدى

ولود المنايا ترضـــع الحتف ممقرا

فظاهر فيها بين درعـــين نثرة

وصبر ودرع الصـــبر اقواهما عرا

سطا وهو احمى من يصون كريمة

واشجع من يقتاد للحرب عسكرا

فرافده في حومة الضرب مرهف

على قلـــة الانصار فيه تكثرا

كأن اخاه السيف اعطي صـــبره

فلم يبرح الهيجـاء حتى تكسرا

وفي البيتين الاخيرين التفاتـات جميلة رائعة ـ كمـا يقول عز الدين ـ ومعـان لطيفة وصورة من صور البطولة الكريمـة متقنة التصوير ، وتارة تستبد الهموم بقلبه ويستفحل الخطـب وينوء صدره بحمل ثقيل ويرى احكام دين الله مضيعة والناس قد سدروا في طبقات سحيقة من التحلل واللامبالاة يخاطب الحجة المنتظر مستنهضاً إياه بخطاب لايجرؤ غيره على اصداره :

الله ياحامي الشريعـــة أتقرّ وهي كذا مروعة

بك تستغيث وقلبهــــا لك عن جوى يشكو صدوعه
تدعوا وجرد الخيل مصغية لدعوتهـــا سميعـــة
وتكاد ألسنـــة السيوف تجيب دعوتها سريعـــة
فصدورها ضاقت بسرّ الموت فأذن ان تذيعـــه
مات التصـــبر بأنتظارك ايها المحيي الشريعـــة
فأنهض فما أبقى التحمل غـــير احشاء جزوعـــة

القصيدة من اولها الى آخرها ثورة عارمة وصرخة مشبوبة بنار الاسى والاشجان وهكذا هو فى كثير من مراثيه يستحيل سبعاً ضارياً يطالب الحجة المنتظر وسائر آل فهر وغالب بأمتشاق البيض الرقاق مذكراً لهم بمصائب الطف الفجيعة وماجرى على بنات الوحي والتنزيل .

ومكابد للســـم قد سقيت حشاشتـــه نقيعـــه
ومضرج بالسيف آثـــر عزّه وابى خضوعـــه
ومصفـــد لله ســـلم أمر ماقاسى جميعـــه
وسبيـــة باتت بأفعى الهم مهجتهـــا لسيعـــه
سلبت وما سلبت محـــا مد عزّها الغرء البديعة
تدعوا ومن تدعوا وتلك كفاة دعوتها صريعـــة
واهاً عرانـــين العـــلا عادت انوفكم جديعـــة

ماهزّ أضلعكم حــداء القوم بالعيس الضليعة (١)

عتاب مر واستنهاض مثير وخطـاب مفجع مؤلم وانى لغير
السيد حيدر من الافصاح به ، لاشك أن شاعرنا ينظم وهو
يعاني من وطئة الانفعالات النفسية الحادة وان حوادث الطف
بصورها المروّعة ماثلة امام عينيه ساعة نظمه وانه ليكتب بمداد
قلبه المتمزق غيضاً وحنقاً ، عاش رحمه الله ومات ولم تهدأ زفرته
وما رقأت دمعته ولا خبت جذوة حزنه المستمرة :

أناعي قتلى الطف لا زلت ناعيـا
يهيج على طــول الليالي البواكيا
أعد ذكرهم فى كربلا إن ذكرهم
طوى جزعا طيّ السجــل فؤاديا
ودع مقلتي تحمر بعــد ابيضاضها
بعدّ رزايا تترك الدمــع داميا
ستنسى الكرى عين كأن جفونهـــا
حلفن بمن تنعاه أن لا تلاقيا
وتعطي الدموع المستهلات حقهـا
محاجر تبكي بالغوادي الصواديا

(١) الديوان ج ١ ص ٨٨ ـ ٨٩ .

واعضاء مجـــد ما توزعت الضبا
بتوزيعهـــا الا الندى والمعاليـــا
ومما يزيــــل القلب عن مستقره
ويترك زند الغيظ فى الصدر واريا
وقوف بنات الوحي عند طليقهـــا
بحال بها يشجــين حق الاعاديا

وغني عن البيان والتوضيح موقف أبي الفضل العباس يوم عرصة كربلاء ومواساته لاخيه ابي الشهـــداء ، وبذله مهجته رخيصة فى سبيل الله ونصرة لابن بنت نبيه الكريم ، وهل تظن بأن هذا الموقف المشرف لايحظى بلقطة من لقطات السيد حيدر الاخاذة ... قال رحمه الله والفخر ملء اهابه :

هو العباس ليث بني نزار ومن قد كان للاجي عصاما
هزبر اغلب تخذ اشتباك الرماح بحومة الهيجا اجاما
فمدّت فوقه العقبان ظلا ليقريها جسومهم طعاما
وواجهت الضبا منه محيا منيراً نوره يجلو الظلاما
ابي عند مسّ الضيـــم يمضي
بعزم يقطع العضب الحساما (١)

---

(١) الديوان ج ١ ص ١٠٨ .

هذا ما أردت ايراده من شعر السيد حيدر الحلي ، وقلت لك مسبقا ان شعر السيد الرثائي يمثل قمة الرثاء الحسيني من يوم واقعة الطف حتى العصر الحاضر ، ولكن التوغل فى ذلك والاكثار من الاستشهاد به يتطلب منا وقتا وجهداً كبيرين ، نسأله تعالى ان يوفقنا للحديث ثانية عن السيد فنتناوله باسهاب وشمول وتحليل ... والله تعالى الموفق للصواب والتسديد .

النجف الاشرف عبد الجبار عبد الرضا الساعدي

الفهرس

مصادر الدراسة

١ ـ البابليات للمرحوم الشيخ محمد علي اليعقوبي .

٢ ـ ديوان السيد حيدر الحلي / تحقيق الخاقاني .

٣ ـ شعراء الحلة / علي الخاقاني .

٤ ـ نهضة العراق الادبية في القرن التاسع عشر للدكتور محمد مهدي البصير .

٥ ـ ديوان السيد موسى الطالقاني / تحقيق السيد محمد حسن الطالقاني .

٦ ـ الشعر العراقي اهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر / للدكتور يوسف عز الدين .

٧ ـ ديوان محمد سعيد الحبوبي .

٨ ـ الخنساء شاعرة بني سليم للدكتور محمد جابر عبد العال الحيني .

٩ ـ العمدة لابن رشيق القيرواني .

١٠ ـ العقد الفريد لابن عبد ربه الاندلسي .

١١ ـ تاريخ الادب العربي للزيات .

١٢ ـ الشعر العراقي الحديث مرحلة وتطـــور للـدكتور جلال الخياط .

١٣ ـ تطور الفكرة والاسلوب في الادب العراقي للدكتور داود سلوم السامرائي .

١٤ ـ الشعر السياسي العراقي فى القرن التاسع عشر / ابراهيم الوائلي .

١٥ ـ ديوان الشيخ محسن الخضري .

١٦ ـ الجواهري شاعر العربية / عبد الكريم الدجيلي عدا ما اشرنا اليه اثناء البحث من مصادر اعتمدنا عليها بطريق غير مباشر .

من آثار المؤلف

١ ـ ديوان السيد حسن الياسري / تحقيق سنة ١٩٦٩ ـ نفد

٢ ـ دموع الكحلاء تعليق سنة ١٩٦٩ ـ نفد .

٣ ـ القاسم بن الامام موسى بن جعفر ـ دراسة تاريخية ١٩٧٦ ـ نفد .

٤ ـ عبقرية السيد محمد سعيد الحبوبي ـ دراسية ادبية ـ مخطوط.

٥ ـ قبسات عن حياة سلمان المحمدي ـ دراسة تاريخية ـ مخطوط .

٦ ـ قبسات عن فلسفة تشريع الفروع فى الاسلام ـ مخطوط ـ

٧ ـ ديوان شعره (نفحات ولفحات) ـ مخطوط ـ

٨ ـ من عطاء القرآن ـ مخطوط ـ

٩ ـ لحظات مع الشعراء ـ دراسات ادبية ـ مخطوط ـ

١٠ ـ من صميم المجتمع العماري ـ دراسات فلكلورية ـ مخطوط.

ستصدر قريباً الطبعة الثانية من كتاب القاسم بن الامام موسى بن جعفر وتمتاز عن الاولى بالزيادات والتحقيقات

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٦٢٠ لسنة ١٩٧٦

٢١ / ٧ / ١٩٧٦